الإسكندر الأكبر

عزيز خانكي

الكتاب: الإسكندر الأكبر

الكاتب: عزيز خانكي

الطبعة: ٢٠٢٠

صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٤٣

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

خانكي ، عزيز

الإسكندر الأكبر/ عزيز خانكي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٨٦ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ٧ – ٢٤ – ٦٧٧٤– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢٣٤٣٠ / ٢٠١٩

الإسكندر الأكبر

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

محمد علي باشا الكبير والإسكندر الأكبر

مُحَمَّد علي باشا الكبير كان من أشد المعجبين بإسكندر الأكبر. روى المؤرخان الفرنساويان كادالفين Cadalvène وبروفوي Breuvery – اللذان عاصراه، وعرفاه، وخالطاه – أن مُحَمَّد علي باشا سمع بتأليف كتاب في حياة الإسكندر الأكبر طبع، ونشر في فرنسا فأمر بإحضاره، ولما عرض عليه الكتاب سأل عن الزمن الذي تقتضيه ترجمته فأجاب المترجم "تستغرق الترجمة ستة شهور" فقال مُحَمَّد علي باشا "هذا زمن طويل" ثم استل سيفًا من الحرسي، وشطر الكتاب ثلاثا وقال "الآن يجب أن تتم الترجمة في شهرين" بعد ذلك التفت الى الحاضرين، واستأنف الكلام على الإسكندر قائلا "قيل لي أن الإسكندر، وبطليموس من مقدونيا. وأنا أيضًا من مقدونيا. إن مقدونيا أنجبت ثلاثة تولوا حكم مصر. إلا أن سلطاني على هذه البلاد أوسع مدى."

فإلي روحي هذين العاهلين العظيمين أهدي هذا الكتاب.

عزيز خانكي



الإسكندر

مقدمة

حياة الإسكندر كلها عجب. عجب من المهد إلى اللحد. فتى حيا العشرين من عمره يفكر في محاربة أعظم ملك بسط سلطانه على أكبر إمبراطورية في عالم ذلك الزمان فيخرج من بلاده بجيش لا يزيد عدد جنوده على ٤٠ ألفا فيبسط سلطانه على أوروبا، وآسيا، وأفريقيا في ثلاث عشرة سنة . يغزو – في أوروبا – البلاد المعروفة في ذلك الزمان من نهر الدانوب شمالا إلى البحر الأبيض جنوبا، ومن مقدونيا غربا إلى البحر الأسود شرقا . ويغزو – في آسيا – البلاد الواقعة بين أقطار الهند شرقا، وآسيا الصغرى غربا . ويغزو – في إفريقيا – ديار مصر من منبع النيل جنوبا إلى مصبه شمالا، ومن ليبيا غربا إلى فلسطين شرقا. فيبسط سلطانه على ربوع مقدونيا، واليونان، وبلغاريا، والصرب، وألبانيا، وعلى مناطق الفرس، وسواد العراق، وريف مصر، ومشارف الشام، وبقاع أفغانستان، وسايستان، وبلوشتان، وهندوستان، وخراسان، وجرجان، ومازندران، وبلاد الأناضول، وأرمينيا، وبابل، وما إليها. وهي كما ترى إمبراطورية عظيمة لم تبلغ شأوها كسروية كسرى، ولا قيصرية قيصر، ولم تعدل شأنها فتوحات شارلمان، ولا غزوات نابليون. إن إنشاء هذه الإمبراطورية الضخمة في ثلاث عشرة سنة على يد شاب حدث لم يخط إلى العشرين عجب عجيب.

قال أحد مؤرخيه إنه لما مات الإسكندر كان جسمه في أرض آسيا، وفكره كان يحلق في سماء أوروبا.

" Il mourut comme Moise les pieds encore sur l'Asie , mais les yeux déjà sur l'Europe "

ألم يرو المؤرخون إنه لما غادر الإسكندر الهند، ووصل إلى سوس رحل منها إلى همذان ثم انتقل إلى بابل، وفيها قرر الطواف حول بلاد العرب، والبحر الأحمر ثم تجهيز حملة قوية تؤيدها ١,٠٠٠ سفينة حربية لغزو قرطاجنة (تونس)، والبلاد المتاخمة لها، وأسبانيا، وجزيرة صقلية ثم يبسط سلطانه على إيطاليا إلى أن يعود إلى وطنهِ مقدونيا. هذا هو الإسكندر الذي عدَ – وعدَ بحق – أُطْرُوفَة ذلك الزمان.

لا يدري إلا الله ماذا تكون إمبراطورية الإسكندر لو أَنَافَ عمره على ثلاث وثلاثين سنة.

ما أبلغ ما قاله مؤرخ في الإسكندر، وفي فعاله:

قال في الإسكندر "أن مجده، واسمه بلغًا عنان السماء"

" dont la gloire et nom s'élèvent jusqu'aux cieux "

وقال في فعاله أنها فعال جبابرة يقتضي تحقيقها عدة قرون:

"c'est une oeuvre de géants et des siècles . "

أبوه فيليب عاش شابًا، وهو شيخ. والإسكندر عاش شيخا، وهو شاب. شاخ الإسكندر وهو شاب؛ لأنه قضى حياته في حروب، وخطوب ثقال تشيب من هولها الوالدان. صدق من قال:

" on vieillit vite sur le champ de bataille "

على أنه لو لم يكن للإسكندر من أثر في هذه الحياة الدنيا سوى تأسيسه مدينة الإسكندرية لكفاه فخرًا أبد الآبدين، ودهر الدَّاهِرين. مدينة الإسكندرية قال فيها أحد المؤرخين إنها :

" la plus géniale des créations du grand conquérant , que ptolémée encore satrape , avait prise aussitôt pour capitale "

* * *

لما طالعت ما كتبه فطاحل المؤرخين في حياة الإسكندر تولتني الدهشة من عظمة هذه الشخصية العجيبة، فحفرتني إلى كتابة سيرته ملخصة من الكتب التي طالعتها، وهي تنيف على الستين.

المؤرخ الأوربي إذا كتب رجع إلى المصادر الأصلية يستخرج منها الحقائق، والدقائق. ولكي يستخرج الحقائق، والدقائق من مصادرها الأصلية يبدأ بتعلم اللغات الأصلية التي دون بها تاريخ من يريد أن يكتب تاريخه.

خذ مثلا العالم الفرنساوي شامبليون Champollion فإنه ليدرس تاريخ مصر القديم بدأ بكشف سر اللغة الهيروغليفية. ولكشف سر الهيروغليفية درس اللغات القبطية، واليونانية، والعبرية، والكلدانية، والصينية. ومن حسن المصادفات أن أول الأسماء التي حل طلاسمها، وفك

رموزها كان أسم الإسكندر الأكبر . ومثله المؤرخ الألماني درويزن Droysen فإنه قبل أن يكتب تاريخ الإسكندر درس اللغة اللاتينية، واللغة اليونانية، ثم طالع كتب بلوتارك Plutarque وكنت كورس Quinte - Curce وكاليستين Callisthène وكسينوفونXénophon واستقرى جميع أوراق البردي اليونانية التي نشرت حتى ذلك الأوان، ويزيد عددها على عشرة آلاف. كما طالع كتب غيرهم، وغيرهم من القدماء فتجلت له عظمة شخصية الإسكندر، فصنف كتابه المشهور مدفوعًا بتلك الحقائق التي ملأت رأسه، وبتلك العواطف التي ملأت قلبه . والقلم إذا نفث من جُلْجُلَان القلب، والكاتب أبدع، وأخرج الكتاب مطبوعًا بطابع خاص هو طابع الحقيقة الحقة مع شيء من الطرافة. وهل إنتاج الكاتب إلا قطعة من نفسه. صدق من قال إن التاريخ الحق ما يمليه القلب.

" pectus fecit historicum, c'est le coeur qui fait l' histoire. "

* * *

أحصى أحد المؤرخين الألمان – الأستاذ كيرشايزن Kircheisen وهو أحصائي أخصائي – عدد المؤلفات التي كتبت عن حياة نابليون، وعن أبيه، وعن أمه، وعن ابنه، وعن أخوته، وعن أخواته، وعن زوجتيه، وعن خليلاته، فوجدها تبلغ ٢٠٠,٠٠٠ والكثير منها أعيد طبعه غير مرة، ومنها ما طبع ١٨ طبعة متوالية مثل كتاب مسيو ثيير Thiers رئيس جمهورية فرنسا . وإذا عرفت أن نابليون ولد في سنة ١٧٦٩ وتوفى في سنة

١٨٢١ مع إنه لم يمض على وفاته سوى ١٢٢ سنة أمكنك أن تقدر عدد المؤلفات التي وضعت عن الإسكندر الأكبر، وقد مضى على موته ٢,٢٥٠ سنة.

ألف المؤرخون عن الإسكندر كُتُبًا كثيرة باللغات اليونانية، واللاتينية، والإنجليزية، والألمانية، والفرنسية، والروسية، والإيطالية، والأسبانية، والتركية، والبرتغالية، والمجرية، والهندية، وبجميع اللغات – الحية، وغير الحية – المعروفة في القارات الخمس . ومع مضي ٢,٢٥٠ سنة على موت الإسكندر ومع أن الإسكندر غزا مصر، وطرد الفرس منها، وأسس مدينة الإسكندرية، وأرسل بعثة؛ لكشف منابع النيل، وعمَّر، ورمم، وجدد معابد، وهياكل مصرية كثيرة فإني لم أعثر على كتاب وضع في حياة الإسكندر الأكبر باللغة العربية إلا كتاب واحد ألفه حضرة الأستاذ إسماعيل مظهر في سنة ١٩٣٧ جاء مقصورا على "قيصرية الإسكندر في مصر" . وإقامة الإسكندر في مصر لم تطل غير ستة أشهر.

الكتب التي وضعت في حياة الإسكندر الأكبر في السنين الأولى التي تلت وفاته ذهبت مع الريح، ولم يبق منها إلا القليل . أهمها جريدة رسمية لغزوات الإسكندر، ومذكرات الإسكندر نفسه، وكتاب بطليموس الذي كان من قواد الإسكندر، وصحبه في جميع غزواته، وحضر معه إلى مصر (ثم استوى على عرش مصر، وأسس أسرة البطالسة التي حكمت مصر ٢٩٣ سنة) ويوميات، وحوليات إيفيب Ephippe الذي ندبه الإسكندر؛ لكتابة تاريخ حروبه، وغزواته، واستصحبه معه . وخطب ديموستين، وكُتب

أرسطاطالبس، والرسائل التي تبادلها الإسكندر، وأمه، ورسائل الإسكندر إلى إنتيباتر Antipater الذي أنابه عنه في مقدونيا . وبعد ٣٠٠ سنة ظهرت مؤلفات أخرى لدبودور الصقلي Diodore وبومبيهPompée وكنت كورس Quinte - curce وبلوتاركplutarque وأريان Arrien وارستوبولسAristobulus . أما الكتب التي وضعت بعد ذلك فقد اتخذت هذه المراجع أساسا لها ثم أضافت إليها ما كشفت عنه الحفريات التي عملت في مقدونيا، وفي بلاد اليونان (ولاسيما في أثينا، وفي أسبارطه) وفي ترافيا، وفي بلاد الأناضول (ترواده) وفي بلاد الكلدان، والآشوريين، وفي صور، وصيدا، ومصر، وبابل، وفي بازار جاد، وبرسبوليس، وسوس، وطرسوس، وفي أربل، وقندهار، وسمرقند، وفي بلخ، وفي الهند، وفي غيرها من البلاد التي غزاها.

إذ أن هذه الحفريات كشفت عن توابيت، ونواويس، وحلي، وأوان، وبردي، وعملة، ورقيات، وعوذات، وجعارين، ومخطوطات، ومنظومات . كما كشفت عن معابد، وهياكل، ومصاطب عليها نقوش، وكتابات قيمة جدًا تسرب معظمها إلى متاحف لندره، وباريس، وبرلين، وروما، والفاتيكان، وتورينو، ومصر، والإسكندرية، وإستانبول. ويوجد في متحف إستانبول ناووس كبير فخم (نشرنا صورته في هذا الكتاب) قيل أنه للإسكندر : على جوانبه رسوم تمثل قتالا بين الروم، والفرس. ولعل أهم الكتب التي وضعت في القرن التاسع عشر عن حياة الإسكندر كتاب المؤرخ الألماني درويزن Droysen ظهر في سنة ١٨٣٣ ولكن لم يشتهر، ويذع صيته إلا بعد مائة سنة يوم احتفل بعيده المئوى. ثم كتاب وضعه

مؤرخ ألماني آخر هو أولرك فليكن Ulrich wilcken الأستاذ بجامعة برلين، وقد ألف عشرة كتب عن الإسكندر . أضف إليهما العالمين الألمانيين مومسن Mommsen وإيبرس Ebers . أما الكتب التي وضعت باللغة الفرنسية فمن أوفاها كتب جورج راديه Georges Radet وقد رجعنا إليها هي أيضًا فيما كتبناه عن الإسكندر . ومن المؤرخين الفرنسيين أيضا Oppert و le vice - amiral Jurien de la Gravière وماسبيرو Maspéro وجوجيه Jouguet وروسل Roussel وبوا Bois وسنت كروا Sainte - croix ولعلماء انجلترا مثل Tarn و Sir Aurel Stein و Taylor و Hogarth – وعلماء إيطاليا مثل Carraroli وعلماء روسيا، وأمريكا كتب كثيرة عن الإسكندر.

وهذا الكتاب هو أول مؤلف وضع باللغة العربية في حياة الإسكندر من بدايتها إلى نهايتها.

عزيز خانكي

كلمة شاعر القطرين ا/ خليل بك المطران

حضرة الصديق الكريم الأستاذ الكبير، عزيز خانكي بك

أمتعتني باطلاعي على ما أخرجته المطبعة أولًا بأول من كتابك في الإسكندر، وهو أوفى ما عرف إلى الآن من تاريخ ذلك الفاتح العظيم، فأشكر لك تلك الرعاية، وأرجو ملحًا أن تزيدني مكرمة بنشر ما أوحته إلى تلك القراءة في مكان تختاره له بين دفتي مؤلفك الجليل:

"خزانة علم في سفر. كم تاريخ حول هذا التاريخ. وكم قصة حول هذه القصة. وكم مقارنة، وكم مشاكلة، وكم استدراك، وكم استطراد مما احتوته بطون الأسفار من أقدم العهود إلى هذا العهد قد كشفت عنها الأستار، أو نفض عنها الغبار، وجاءت في أماكنها تملأ الأذهان أنوارًا، أو تستأنف على أروماتها الجافة نضارة، وازدهارًا."

"هذا في الجملة كتاب"الإسكندر"

"ولقد يخيل إلى قارئ هذه الكلمة أنها تقريظ، وليست بتقريظ . هي كلمة حق أحجت على الصديق العلامة مؤلف هذه السيرة أن يفسح لها مكانا فيها. هي حكاية حال، وخُلاصة مطالعة بعيدة المدى مترامية الأطراف في صحائف كأن الدنيا بتالدها، وطريفها تمر تحت سطورها. فإن

تكن ثناء فما أحب الثناء جزاء لمستحقه، وما أقبحه سبة لمن هو به غير جدير.

أما مزايا هذه السيرة على سائر ما نشر من السير للإسكندر، فمتعددة متنوعة أتيح لي أن أطلع على بيان لخصها أبرع تلخيص في رسالة للباحثة الفاضلة السيدة المتسمية باسم "بنت بطوطة" فآثرت نقلها عن الفرنسية، وهي بحرفها :

"لا أعرف كيف أعبر عن إعجابي بل إكباري"

" كوجاس كوجاس أنت مؤرخ عظيم. لم تقصر شأن كتابك على أن تخطه يد الألمعي المجيد الذي ذاع صيته في الناس قاطبة بل جعلته "موسوعات" تاريخ لم يخطئها تفصيل أمر مما وقع في أي زمان، أو في أي مكان."

"أن تعليقاتك آيات بينات لو جمعت منفردة لاجتمع منها كتاب ضخم من التاريخ."

" بماذا تنسي لك أن ترسم هذه الصور المتسلسلة، وأن تهيئ لها هذا الشبه العجيب بالوقائع نفسها، ليس هذا فيما أظن من مادة قلم عادي بل من مادة منقاش ساحر في يد صائغ ماهر."

"ما من مؤرخ قديم، أو حديث – في رأيي الضعيف – وفق إلى إبراز الإسكندر في صفته الإنسانية كما أَبْرَزْتُهُ. لقد أجمعوا على تصوير ذلك

الفاتح اللامع ، والمشيد العبقري للملك الواسع ، بصورة آله حرب هو أقرب إلى الإعجاز الخيالي منه إلى حقيقة الإنسان."

جعله " كنت كورس Quinte-Curce" ضربا لا يقره العقل من أبطال القصص الوهمية.

وجعله "تاسيت Tacite" نفسه على إبداعه فيما يرسمه شيئا غير الإنسان الحي.

وجعله "أريان Arrien" شخص أسطورة من أساطير الجن.

وجعل منه "هاتسفلد Hatzfeld" جزار أمم.

وجعل منه " سيدل هارت Siddel Hart " خبيرا حربيا، وعسكريا، نسيج وحده في العالم، له دماغ عجيب، ولا قلبٌ له.

وجعل منه "أولريخ ويلكن Ulrich Wilcken" إنسانا فوق الإنسان، أو بناء عسكريا لم يجر عليه من أحكام الإنسانية إلا أن يموت كما يموت عامة الأحياء .

"**مرحى مرحى**" أ هـ

وها الأصل الفرنساوي : Mon Cher Aziz Bey,

" Je ne sais comment exprimer mon admiration et mon enthousiasme .

“ Cujas , Cujas , vous êtes un grand historien . Vous n’êtes pas seulement ce superbe styliste et grammairien arabe connu de tout le monde, mais aussi une encyclopédie historique , où pas un détail concernant toutes les époques, de tous les pays, de toutes les histoires , ne fait défaut.

- Vos renvois sont des chefs-d’oeuvre, et pourraient à eux seuls former un auntre ouvrage historique.

- Avec quoi avez-vous tracé ce déroulement d’images pour leur donner ce relief saisissant du reel ? Pas avec une plume ordinaire, je suppose . Alors avec quoi ? Le burin magique d’un prestigieux ciseleur ?

“ Il n’y a pas un historien , ancien ou moderne, d’ après mon humble avis, qui ait su donner autant que vous , un caractère humain à Alexandre . Tous ont fait du fulgurant conquérant , du génial bâtisseur d’ Empire , une espèce de divinité guerrière , qui tient beaucoup plus du prodige que de l’humain .

“ Quinte-Curce “ en fait un invraisemblable héros de roman imaginaire .

“ Arrien “ un personnage de conte de fée .

Même l’originalité pittoresque de “ Tacite “ n’a pu faire d’Alexandre un être vivant .

“ Hatzfeld “ en fait un massacreur de races .

“ siddel Hart “ un stratège , un soldat unique au monde avec rien qu’un prodigieux cerveau sans âme .

“ Ulrich wilcken “ en fait un être surnaturel , sorte d’ architecte militaire, si vous préférez , et dont la seule chose d’humain qui lui serait arrivée était de mourir comme le commun des mortels .

“ cujas , ne vous imaginez pas que ce que je vous dis , c’est de la flagornerie . Mais vous avez fait vivre Alexandre , battre Alexandre , sentir Alexandre , souffrir Alexandre , aimer Alexandre , comme un être humain vivant et réel , tout en laissant à Alexandre son génie qui le place au dessus des hommes , tout en étant homme .

“ Et c’est là , voyez vous , que vous vous êtes révélé un grand historien psychologue , ça c’est : عبقرية خانكي

“ Mon cher , c’est bien plus beau que votre “ Ata Ture “ qui est déjà une fort belle-oeuvre , - or - votre “Alexandre “ vous serez obligé de le rééditer souvent , c’est un livre à énorme tirage .

“Et où diable voulez-vous que nous , les misérables petits apprentis historiens , allions devant un géant comme votre livre? Nous devrions casser nos plumes et renverser nos encriers !!

" Maintenant comme petit gratte-papier , laissez moi vous crier mon admiration ; comme musulmane , laissez-moi vous remercier avec émotion pour avoir , dans un de vos renvois , rendu cette superbe justice de grandeur , à Omar ibn El Khattab , trop méconnu : merci ; comme égytienne , je vous dirai , Cujas , que vous avez bien mérité de la patrie Egyptienne et de ses lettres en léguant au pays une oeuvre historique de cette envergure . Bravo !

- Bent Batouta - 27 - 11 - 1942

هذا ما كتبته تلك المؤرخة الأدبية، ولا كلام لي بعده سوى أن أضيف البيان الصغير الآتي:

كان الأستاذ الكبير عزيز خانكي بك أول من كتب مقالات في الصحف اليومية تحت عنوان "ما قل ودل" فهو بهذا العنوان قد صور مذهبه في الكتابة على تعدد الأنواع، والأغراض التي أجرى براعته فيها. ولعله في سيرة الإسكندر قد جاء بأبلغ شاهد على صدقه في مذهبه هذا. فكتابه على صغر حجمه سفر من أضخم الأسفار.

وليست العبرة بالجمع، والحشد من كل مظنه لما دعت إليه معارض الكلام، وهو مالا يستطيعه إلا القادرون الصابرون بل هي كذلك في حسن الأداء، وتوخي الفصاحة، والبلاغة في الإنشاء. وإنها لمزية فوق ما تقدم ذكره ، جديرة بالذكر الخاص، والثناء الخالص.

فهذه السيرة قد ودت بقوة إلى الإسكندر حقيقته الإنسانية، وإلى التاريخ سلامته من الشبهات، وكرامته.

خليل مطران

١٠ ٣١ ١٩٤٣١

الإسكندر الأكبر وغزو مصر

(١) نهاية عهد فيليب . وبداية عهد الإسكندر

اغتيال فيليب:

في سنة ٣٣٦ قبل ميلاد المسيح إغتال أحد أشراف مقدونيا والد الإسكندر الأكبر فيليب ملك مقدونيا بضربة خنجر في مدينة أجيه Aegoe بينما كان داخلا أحد مسارح المدينة في يوم الاحتفال بزواج بنته كليوباترة (أخت الإسكندر)

بملك بلاد أبيروس . وبموت فيليب – وكان عمره ٤٧ سنة – انتقل الملك إلى ابنه الإسكندر – وكان قد حيا العشرين من عمره.

وقبل أن يستوي الإسكندر على عرش مقدونيا كان أبوه قد عني بتربيته تربية عالية، واختار مربيا له أكبر فلاسفة اليونان: أرسطاطاليس Aristote الشهير الذي لا يزال اسمه يدوي في أرجاء المعمورة حتى اليوم على الرغم من مضي ألفي سنة على وفاته. تولى أرسطاطاليس تربية الإسكندر ابتداء من سنة ٣٤٣ قبل الميلاد، وكان عمر الإسكندر ١٣ سنة.



فيليب أبو الإسكندر

فكر الأستاذ في إبعاد تلميذه عن ملاهي حاضرة مقدونيا – مدينة بيللا – وعن ملاذها، واختار له مكانا قصيا بلدة مييزا (Mieza) فيها لبث يعلمه، ويربيه ثلاث سنوات كاملة . لقنه الأدب اليوناني، والفلسفة، والتاريخ، ومبادئ الطب، وقد طبب بالفعل كثيرا من جرحى جنده، فحفظ الإسكندر كثيرًا من الشعر اليوناني، ولاسيما "الألياذة" المشهورة. ولم ينقطع الإسكندر عن الدرس، وأرسطاطاليس عن التدريس إلا في سنة ٣٤٠ لما اعتزم فيليب بيزانطه (القسطنطينية قديما، وإسطنبول حديثًا) فنصب ابنه الإسكندر قائمًا مقام المملكة مدة غيابه، وكان عمره لا ينيف على ١٦ سنة .

كان أرسطو خير معلم، والإسكندر خير تلميذ. أرسطو غزا العالم بعقله الجبار، والإسكندر غزا العالم بسيفه البنار .

وفيليب – أبو الإسكندر – كان من أعظم رجال الحرب اشتهر بمدارسة الحروب، وممارسة القتال . في خلال خمس سنوات انتصر على أعدائه تسع مرات في تسع وقائع . وكان في نيته غزو إمبراطورية الفرس، ولكن المنية عاجلته قبل أن يحقق أمنيتهُ فحققها ابنه الإسكندر من بعده.

لم تقتصر عناية فيليب على تربية ابنه الإسكندر تربية عقلية، وأدبية عن يد أرسطو . بل كان وجه همه أيضا من قِبل إلى تربية الإسكندر تربية بدنية ناط بها اثنان من خيرة المربين هما ليونيداس Léonidas وأبيروس Apiros من ذوي قرابة أولمبياس Olympias (والدة الإسكندر) . عكفا على تعليم الإسكندر، وتدريبه على جميع الألعاب الرياضية، والحركات البدنية، وركوب الخيل، واستعمال الأسلحة، وسائر أعمال الرجولة، والبطولة، والفروسية. مثل السباحة، والرماية، والمصارعة، والمبارزة حتى استطاع الإسكندر وهو في سن العاشرة أن يصارع، ويصرع الفتيان الأسن منه. يروي أن أحد هواة الخيل (اسمه فيلونيكوس Philonicus من أهالي تساليا) عرض على فيليب أن يبيعه بمبلغ ٣٠٠٠ جنيه جوادا أصيلا لم تر العين مثله رشاقة وجمالا. لما وقع نظر أحد الشعراء عليه صاح قائلا يستأهل هذا الجواد أربع قصائد مدحًا في انسجام جسمه، وخفة حركاته. حقا إن العين لم تر مثل هذا الجواد حسنا، وجمالا. لم يستطع فيليب أن يجربه؛ لأن عرجا كان أصابته في رجله، وكسرًا أصابته في ضلوعه . فعرض على شاب من أولاد أحد قواده أن يركبه. فلما هم الشاب بركوب الجواد حزن الجواد، وألقى الشاب على الأرض. حاول شاب آخر ركوب الجواد فلم يفلح. وكلما هم فارس ركوب الجواد سقط. فتحطم فيليب غيظا،

وصاح في الحاضرين أليس فيكم فارس يستطيع كبح جماح هذا الجواد؟. حقا إنها لفضيحة. وقع هذا الكلام في قلب ابنه الإسكندر وقع الصاعقة فتقدم – وكان عمره ١٣ سنة – وطلب من أبيه أن يسمح له بركوب الجواد. دهش أبوه، وقال له كيف تستطيع أن تفعل ما عجز عنه من هم أكبر منك سنا، وأكثر مرانا. فألح الإسكندر إلا أن وزراء فيليب، وقواده نصحوا لفيليب أن لا يسمح للإسكندر بركوب هذا الجواد؛ كي لا يعرض حياته للخطر. فكر فيليب في الأمر ثم سأل صاحب



الإسكندر

الجواد عن ثمنه فذكر له رقما فاحشا دهش له الحاضرون. فالتفت فيليب إلى ابنه، وقال له (إذا نجحت كان الجواد لك وإذا فشلت كان الجواد لي وضاع عليك ثمنه) فقبل الإسكندر الرهان. وما هي إلا هُنَيْهَة حتى امتطى الإسكندر الجواد وصال به وجال أمام الحاضرين فكان الجواد

أطوع إليه من بنانه. فصعق له الحاضرون جميعا، وتقدم أبوه، واحتضنه، وقال له (إن مقدونيا صغيرة بالنسبة إليك يا ابني . فابحث لك عن بلاد غيرها واسعة تسع بطولتك). فكان هذا هو الوسام الأول لحياته الحربية الطويلة المجيدة!

أما الوسام الثاني – ففي الحملة التي سيرها، وقادها بنفسه لمقاتلة قبيلة شديدة البأس من قبائل تراقيا رفعت راية العصيان منتهزة فرصة انشغال فيليب بمحاصرة بيزانطة، وتخليه عن إدارة الحكم إلى ابنه الإسكندر. أظهر الإسكندر في هذه الحملة براعة حربية فائقة بهرت رجال الحرب. وكانت هذه الحملة أول حملة عسكرية قادها بنفسه، وعمره يتراوح بين السابعة عشرة والثماني عشرة سنة. نشبت المعركة، وكانت شديدة تشيب من هولها الولدان. فانتصر الإسكندر انتصارًا مبينًا، واستولى على عاصمة تراقيا، ودمرها، ولم يترك فيها إنسيا . ولكن بعد أن دمرها أعاد بناءها، وسماها ألكسندروبولس Alexandropolis (أي مدينة الإسكندر) فكانت أول مدينة سميت باسمه. وقد عمل بالسنة التي أستنها أبوه من قبل عندما أطلق اسمه على مدينة فيليبوبولس Philippopolis

والوسام الثالث – ولعله الوشاح الأكبر – الذي ناله الإسكندر قبل أن يستوي على عرش مقدونيا، ففي الجراءة، والمهارة، والبطولة التي أظهرها في الاستيلاء على مدينة كيرونية Chéronée (وهي مسقط رأس بلوتارك Plutarque المؤرخ الكبير واسمها الآن Capranu) ببلاد اليونان. ذلك أن فيليب في أثناء غزوه بلاد اليونان، ومقاتلة جيش أتينا، وطيبة

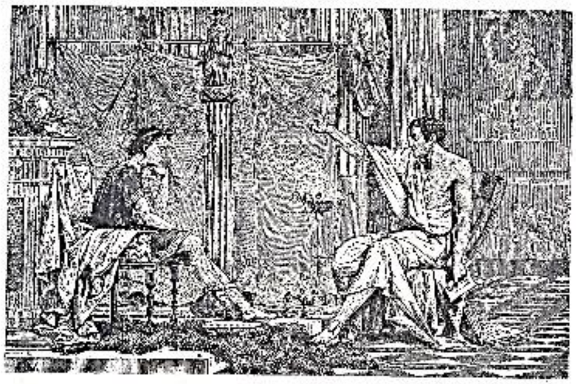
حاصر مدينة كيرونية. ولما عجز عن فتحها طلب من ابنه الأسكندر – وكان في مقدونيا – أن يرسل إليه مددًا من الرجال، والعتاد. ولشد ما كانت دهشة فيليب عندما رأى ابنه الإسكندر قد حضر بنفسه راكبًا جواده "بوسيفال" على رأس قوة كبيرة من مشاة، وفرسان مقدونيا ليمد يد المساعدة إلى والده. ولما أشتد الحصار، وضيق فيليب الخناق على أهل كيرونية هموا بالخروج. فانتهز الإسكندر فرصة ابتعادهم عن أسوار المدينة، وأندس برجالهِ في الثغرة المفتوحة أمامه. وبهذا وقع الأعداء بين نار رجال الإسكندر، ونار رجال فيليب فسلموا. فدخل الإسكندر المدينة، واستولى عليها، وأخذ في تحطيم أسوارها، واستحكاماتها. ولم تأذن الشمس بالغروب إلا، والمدينة أصبحت أطلالا، وبقى اسمها علمًا على نصر مبين كتب للإسكندر. ولما خطا فيليب نحو ابنه ليهنئه بهذا الفوز العظيم أجابه الإسكندر – وقد أشار إلى كليتوس Clitus أخيه في الرضاع – (بل اشكر كليتوس فإن سيفه أنقذني من الموت). اختار فيليب من بين الأَسْرَى فتاتين من أجمل بنات اليونان لم يقع الطرف على أتم منهما حسنا، وعرضهما على ابنه فأبى، وقال بل أهدهما إلى كليتوس فهو أحق بهما مني .

لم يكتف المربيان – ليونيداس وأبيروس – بتربية الإسكندر تربية بدنية بل طافا به في جميع أنحاء مقدونيا، والبلاد المجاورة فدرس الإسكندر مدنها، وقراها، وجبالها، وسهولها، ووديانها، وأنهارها، وقتلها علما، وخبرا .

شقاق بين الابن، وأبيه :

في مدة ولاية العهد شجر شقاق بين الإسكندر، وأبيه مرتين :

المرة الأولى: على أثر عقد زواج فيليب ببنت مقدونية كانت آية في الجمال هام بها فيليب ثم راودها عن نفسها فأبت فخطبها من عمها أتالوس Attalus وتزوجها.



أرسطاطاليس، وتلميذهُ الإسكندر

ومن فرط شغفه بها أقام لها عرسا لم تر العين مثله بهاء. دعا إليه كثيرًا من الأمراء، والأشراف، والعظماء، والوجهاء. كما دعا إليه أصدقاءه الأقربين، والأبعدين الذين وثقت بينه، وبينهم الطاس، والكاس . حضر الإسكندر حفلة زواج أبيه بكليوباترة على كراهة منه، وكان معه صديقاه هيفيستيون Héphestion ونيارك Néarque وفي أثناء الحفلة بدرت من أتالوس عبارات ماسة بوالدة الإسكندر. فهمَ الإسكندر ليؤدب، ويضرب

أتالوس، ولكن أصدقاءه منعوه. زاد أتالوس غطرسة، وعجرفة، وطلب من الحاضرين أن يتضرعوا إلى الآلهة بأن يرزق فيليب من كليوباترة ولدًا شرعيا يتولى الملك من بعده. وقع هذا الدعاء على الإسكندر وقع الصاعقة. فثار الدم في وجهه، واشرأب من بين الحاضرين وصاح في أتالوس (ألا لعنة الله عليك هل أنا ابن حرام) ثم ضرب بكأسه رأس أتالوس. عند ذلك همَ فيليب، واستل سيفه، وهجم على ابنه الإسكندر ليضربه. ولكن الخمر كانت لعبت في رأسه، وفي جسمه فانحنى، وانثنى، وسقط على الأرض. وفي هذه الليلة نفسها غادر الإسكندر، ووالدته مدينة بيللا . فقصدت الأم وطنها أبيروس، وذهب هو إلى ألبانيا. وبعد فترة من الزمان سعى أهل الخير لإزالة سوء التفاهم بين الابن، وأبيه فعاد الإسكندر، وأمه إلى مقدونيا.

والمرة الثانية: عندما عرض بيكسودا روس Pixodaros أمير كاري Carie على فيليب عقد معاهدة دفاعية هجومية. وليوثق أواصر المودة بينهما عرض عليه أن يزوجه من بنته. كره فيليب أن يصاهر تابعا من اتباع الفرس. واستحسن أن يزوج البنت من ابن له غير شرعي اسمه أرهيداوس Arrhidaois . فظن الإسكندر أن والده فضل عليه ابنه غير الشرعي، وربما أوصى له بالملك من بعده فاسرع، وطلب من أمير كاري أن يزوجه هو بنته. فلما اتصل الخبر بفيليب استدعى ابنه، وأنبه. وأفهمه أن فكرة تفضيل ابنه غير الشرعي عليه فكرة خاطئة. فاطمأن الإسكندر وعاد الوفاق بين الابن، وأبيه .

بداية حكم الإسكندر:

لما استولى الإسكندر على عرش مقدونيا بدأ حكمه بقمع الثورة التي شبت في بلاد اليونان بقصد التخلص من نير الحكم المقدوني، وكانت الثورة قد هاجت، وباضت، وفرخت. وكان على رأس هذه الثورة – عدوه الأزرق – ديموستين Démosthène خطيب اليونان المشهور. وكانت جميع خطبه، وأحاديثه في أتينا حماسية ثوروية يكرر فيها قوله



أرسطاطاليس

(إن على عرش مقدونيا طفلا فهبوا، ولا تجعلوا لهذا الطفل عليكم سلطانا) . إلا أن الإسكندر أسرع، وأطفأ نار الفتنة، وقمع الثورة بعزيمته الحذَاء

وبعدما غزا الإسكندر بلاد اليونان، وقمع الفتنة وجه همه إلى غزو تراقيا كلها. فغزاها، وواصل زحفه إلى نهر الدانوب. وبعد ذلك أخضع البلاد الجنوبية التي منها الآن بلغاريا، وألبانيا.

وفي أثناء وجوده في بلاد اليونان قصد مدينة كورنت Corinthe ليطلب من جمهوريات اليونان أنتخابه قائدًا عامًا على الجيوش التي أعدها لمحاربة الفرس، ولزيارة دبوجين Diogène الفليسوف اليوناني المشهور . وفق الإسكندر وانتخبته جمهوريات اليونان قائدًا عامًا. ولما زار ديوجين رآه على حال قشفة لا يملك شيئا سوى برميل بلا قعر أتخذه مسكنا له، وكان حوله مريدوه، وبعض كلاب ضالة. دهش الإسكندر من هذا المنظر فخطا نحو ديوجين. قال له "هل من حاجة فأقضيها لك. فأجابه ديوجين" تنح، ولا تحجب الشمس عني" . عند ذلك قال الإسكندر كلمته المشهورة (لو لم أكن الأسكندر لوددت أن أكون ديوجين) وقال أرستو كلمته الأخرى المشهورة (Les extrêmes se touchent) ولعل المعنى القريب منها قول من قال "قد يلتقي الشتي فيأتلفان"

طار صيت الإسكندر، ووصل إلى دارا ملك الفرس. فحرص الإغريق على أن يشقوا عصا الطاعة على الإسكندر، وأمدهم بالمال الوفير لشراء الأسلحة، والذخائر، والمهمات، ولتجنيد أكبر عدد ممكن من الجنود. ولتحقيق أغراضه رشا ديموستين بمبلغ ٧٢,٠٠٠ جنيه ليغري بينهم العداوة، والبغضاء. كما وعد أحد أبناء فيليب بعرش مقدونيا إذا ما اغتال الإسكندر.

ومن الحيل التي استعملها أنصار دارا لإثارة الفتنة، والثورة أنهم أشاعوا أن الإسكندر قتل في معركة من المعارك التي خاض غمارها في بلغاريا، وفي ألبانيا، وسخر ديموستين شخصًا شهد بأنه حضر الواقعة، ورأى الإسكندر مقتولًا. إلا أنه عندما اتصل بالإسكندر خبر الثورة تميز من الغيظ، وطار إلى بلاد اليونان – وكان يقطع ٣٠ كيلو مترا في اليوم الواحد – وانتقم من أهالي طيبة Thébes – التي تزعمت هذه الثورة – فجذ دابرهم، ودمر طيبة من أولها إلى آخرها، وتركها خاوية على عروشها.

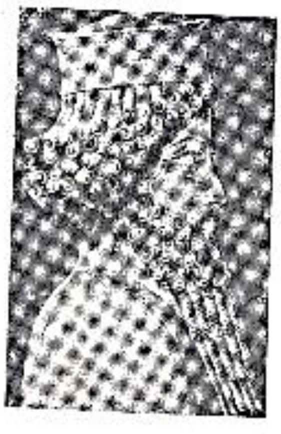
(٢) حروبهُ مع دارا

بعد ما استتب له الأمر وجه همه إلى محاربة الفرس. وكان دارا قد بسط سلطانه على بلاد آسيا الغربية – من بلاد الهند إلى البحر الأبيض – كما بسط سلطانه على البلاد المعروفة الآن ببلاد الأناضول، وأرمينيا، والعراق، وسوريا، وفلسطين، وغيرها . وكان له في البحر الأبيض أسطول قوي جدًا يتألف من ٤٠٠ من الجواري في البحر كالأعلام. وبسبب سيطرة دارا على البحار ما كان الأسكندر، ولا غير الأسكندر يستطيع مناوأته في البحار . ففكر الأسكندر في وسيلة بها يجعل هذا الأسطول الضخم سواء، والعدم. فهداه فكره الثاقب إلى الاستيلاء على شواطئ بلاد آسيا الصغرى، وعلى جميع الثغور الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، وكان معظم أهاليها من الإغريق . فإذا استولى عليها استحال على أسطول دارا أن يتمون.

جمع الإسكندر جيشا (وكان أول جيش لبس الملابس العسكرية) يتألف من ٣٠,٠٠٠ من صناديد المشاة و٥,٠٠٠ من أشد الفرسان بأسًا، وسار بهم لمقاتلة دارا . وقبل أن يبارح مقدونيا درس الإسكندر تاريخ الفرس، ولغتهم، وأدبهم، وفلسفتهم، وديانتهم، وعاداتهم، وأخلاقهم، وأساطيرهم، وفنونهم العسكرية، واستصحب معه جمهرة من الفلاسفة، ومن العلماء، ومن الشعراء، ومن المهندسين، وصفوة رباني مقدونيا، وبلاد اليونان لدرس أحوال البلاد التي نوى غزوها فكانت حملته عليها طابعان:

طابع حربي (الفتح، والغزو، ومحاربة الفرس)، وطابع علمي (درس طبيعة البلاد، واستكشاف أحوالها الزراعية، والتجارية، والاقتصادية، والصناعية، والعلمية). وقد اختار كللستين Callisthène – ابن اخت أرسطو، وتلميذه – ليكتب تاريخ غزواته . كما ناط بمستشاره الكبير أومين Euméne de Cardie بأن يكتب يومياته ابتداء من تاريخ استوائه على العرش، فكتبها، وظهرت باسم "Ephémérides royals" وقد اقتدى في هذا بأبيه فيليب عندما اختار المؤرخ ثيوبومب Théopompe ليكتب تاريخ حياته، وفتوحاته، وغزواته .

كانت سلطنة الفرس أكبر سلطنة في العالم تمتد حدودها من نهر السند (ببلاد الهند) إلى صحاري ليبيا، وكان على عرشها الملك دارا الثالث. ومع سعة ملكه، ووفرة



دارا ملك الفرس

موارده من مال، ورجال فإن الإسكندر لم يتردد لحظة في مقاتلته مع قلة رجاله، وقلة ماله.

عبور الدردنيل:

عَبَرَ الإسكندر، وجيشه مضيق الدردنيل (وكان اسمه في ذلك الزمان l'Hellespont) وقد أقلتهم ١٨٠ سفينة. وقد عبره من قبل كرزسيس Xerxès ملك الفرس عندما غزا بلاد اليونان.

وقبل نشوب الحرب زار "تروادة" هو، وصديقه هفيستيون Hephestion ووضع أكاليل من الزهور، والرياحين على قبر أخلاوس – جده لأمه – وهو البطل الذي خلد ذكراه هوميروس Homèro شاعر اليونان المشهور في قصيدته العصماء (الإلياذة). وقبل أن يشتبك جيش الإسكندر بجيش دارا أشار كبير قواد دارا، واسمه ممنون Memnon (وأصله من جزيرة رودس) على دارا بأن يرتد في داخلية البلاد ليبعد الإسكندر عن قواعد تموينه، ويتعبه. وقال له أن الزمن، وسعة الإمبراطورية كفيلان بضعضعة جيش الإسكندر. كما أشار عليه بأن يحرق جميع البلاد التي يضطر إلى إخلائها حتى لا ينتفع الإسكندر بما يكون فيها من مؤونة، ومواد أولية (كما فعل الروس عندما غزاهم نابليون في خلال سنة ١٨١٢ وكما فعل ستالين عندما غزا الألمان روسيا في الحرب الحالية) فأجابه دارا (هل تريد أن أتقهقر أمام شاب غر مثل الإسكندر).

كان ممنون هذا أعظم قواد دارا، وكانت له خبرة، وحنكة في الفنون الحربية لا يضارعه فيها أحد من القواد الفرس. ولمكانته عند دارا حقد عليه القواد الفرس، وسلطوا أحد خصيان دارا اسمه باجواس Bagoas ليقتله (بعد الواقعة الثانية وهي واقعة أيسوس) فدس له السم، ومات، وراح ضحية إخلاصهُ، وكفاءته. ولما علم الإسكندر بموته أجهش بالبكاء.

تلاحم الجيشان – جيش الإسكندر، وجيش دارا – ثلاث مرات دارت الدائرة فيها كلها على دارا .

واقعة الجرانيك Le Granique :

الواقعة الأولى كانت في شهر مايو سنة **٣٣٤** قبل الميلاد على مقربة من ضفاف نهر جرانيكوس Le Granique (ويصب في بحر مرمرة بين قرة بيغا، وبوزلركوى) وكانت معركة مروعة فيها انكسر جيش الفرس انكسارا شنيعا بعد أن ترك **٢٠** ألف قتيل في ساحة الوغي، ووقع في الأسر ألفان من اليونانيين الذي جندهم ممنون (قائد دارا) من المدن اليونانية التي كانت خاضعة لدارا. فأخذهم الإسكندر أرقاء، وأرسلهم إلى مقدونيا؛ لتشغيلهم في مناجم الذهب. وفرَ قائد جيش دارا، وهو يتأوه، ويتأوى. وما كاد خبر انكساره يذاع في البلاد حتى سارعت بلاد آسيا الصغرى للاستسلام للإسكندر، ومن ضمنها جميع المدن اليونانية التي كانت خاضعة للفرس.

وتخليدًا لذكرى انتصار الإسكندر على دارا أقامت مدن يونانية كثيرة مهرجانات سموها "إسكندريات Alexandreia "



ديموستين خطيب اليونان

في هذه الواقعة كاد الإسكندر يقتل؛ لأن الأسكندر كان على رأسه خوذة بها جناحان من الذهب الوهاج فعرفه حالا متريدات Mithridate صهر دارا، وأحد قواده . ترجل متريدات، وهجم على الأسكندر إلا أن الأسكندر ضربه ضربة ألقته على الأرض صريعًا. رأى روزاسيس Rhoesacés (أخو متريدات) ما حل بأخيه فهجم على الأسكندر، وضربه ببلطة أصابت خوذته، وشطرتها شطرين . تلقى الأسكندر الضربة بلقب جرئ، وما هي إلا هنيهة حتى طعن الرجل طعنة نجلاء خر منها ميتًا . رأى سبتريدات Spithridate أمير ليديا،ومن أتباع دارا ما حل بزميليه فرفع سيفه؛ ليضرب الإسكندر إلا أن كليتوس الأسود Clitus le Noir

أحد ضباط الإسكندر أسرع، وضرب أميرليديا ضربة أطارت عظامه فضاضا . وبذا نجا الأسكندر من الموت.

وانتصار الأسكندر في واقعة الجرانيك سهل له فتح بلاد الأناضول.

واقعة أيسوس Issus :

والواقعة الثانية كانت في ربيع سنة ٣٣٣ – عندما زحف الأسكندر في قلب الأناضول، ومرَّ بأنقرة ثم دخل كليكيا، واستولى على مضيق جبال طوروس . ووإلى زحفه إلى أن دخل مدينة طوسوس. ومنها استمر زاحفا إلى أن علم أن دارا جمع جيشا عرمرما في شمال سوريا على مسيرة يومين من مضيق بيلان (وهو المضيق الذي هزم فيه البطل إبراهيم باشا ابن مُحَمَّد علي الكبير جيش السلطان محمود الثاني في ٣٠ يوليه سنة ١٨٣٢).

جيش الأسكندر كان يمتاز على جيش دارا بميزة كبيرة، وهي أن الجندي المقدوني كان قليل السلاح قوية. بسيط الملبس نظيفة. سريع الحركة خفيفة. سهل الكر، والفر. قنوع صبور. اعتاد على معيشة الكفاف، والقناعة. متخففا من الحاجيات. متعففا من الكماليات. والجيش المقدوني كان في غاية النظام، والانسجام كله جنود من جنس واحد مقدوني وإغريقي. أما الجندي الفارسي فكان كثير السلاح. ثقيل الحركة. عسير الكر، والفر. وكان جيش دارا خليطا من الفرس، والكرد، والكرج، والتتر، والأرمن، والأفغان، والأشوريين، والسوريين، والفينيقيين، والإغريق الخاضعين لحكم الفرس. كان لهم ضجيج كضجيج الحجيج. وكانت

مركبات الفرس المعدة لنقل الميرة، والمؤن، والذخائر، والأسلحة، والمهمات تعد بالآلاف. يسير خلفها ٢٠٠,٠٠٠ من الرجال، والنساء، والذراري أولاد، وزوجات، وسريات الضباط، والجند مع خدمهم، وحشمهم . هذا عدا آلاف المركبات التي كانت تحمل معابد من الذهب، والعاج. كما تحمل جميع كنوز دارا، وأهله. وآلاف الآلاف من دنان الخمر. فكان الزمن اللازم لحركات جيش الأسكندر أقل خمس مرات من الزمن اللازم لحركات جيوش دارا. وكان جيش الأسكندر يتمون من البلاد التي يغزوها، ومن السلب الذي يغنمه من جيش الفرس. وكان ضباط، وجند جيش الأسكندر لم يعودوا على رفاهية العيش. كانوا يأكلون طعاما واحدا، ويلبسون لباسا واحدا لا فرق بين كبير، وصغير. لم يكن فيهم لحم أطيب من لحم، ولا دم أطيب من دم. أما ضباط جيش دارا فكانوا ممن اعتادوا أن ينعموا بأطايب العيش، ومتع الحياة. فكان لهم طهاة غير طهاة الجند، ونظام خاص لمأكلهم، ومشربهم، وملبسهم، ومسكنهم غير نظام الجند.

ويقول المؤرخ اليوناني أتينيه Athénée أن دارا كان جالسا على إيوان من الذهب الخالص يحرسه هو، وعائلته ألفان من الفرسان الأشداء رأس عليهم أخاه أوكساتيرس Oxathérès. وكان خصص لخدمته، وخدمة أسرته ٢٧٧ طاهيًا و٢٩ خادما للمائدة، و١٧ لصب الماء، و٧٠ لصب الخمر، و٦٦ لتزيين المائدة بالزهور، والرياحين، و٤٠ لتزيين شخصه، وتعطيره . يضاف إلى هؤلاء، وهؤلاء ٣٢٩ مطربة، ورقاصة معهن جميع آلات الطرب، فتأمل!

وكثير من الولاة، والقواد، والقماقم، والأشراف استصحبوا معهم جوقات من المغنين، والمغنيات. الرقاصين، والرقاصات، والموالي، والندماء. مع آلات الطرب، والموسيقى المنوعة. كما استصحبوا كثيرا من المنجمين، والمنجمات. وجوقات من البهلوانية، و"البهاليل" والمصاعين لتسليتهم، وتسلية زوجاتهم، وبناتهم، وأولادهم . ويقول أحد المؤرخين أنه لزم لخروج هذا العدد الوفير – من غير المقاتلة – من أسوار مدينة (بابل) تسعة أيام كاملة.

فكان كل هذا مجتمعا سبب ضعف جيش الفرس، وسبب ارتباكه.

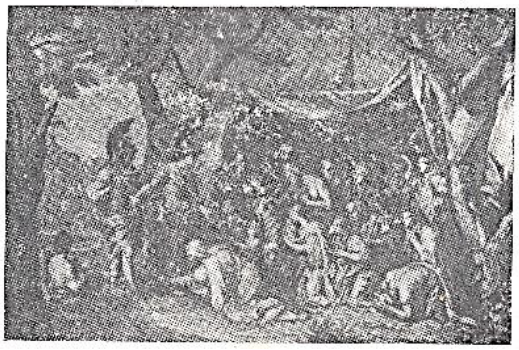
يضاف إلى هذه الميزة الكبيرة ميزة كبيرة أخرى. هي أن قواد جيش الأسكندر كانوا مدربين خير تدريب تلقوا فنون الحرب عن فيليب (أبي الأسكندر) وفيليب كان أبرع رجال الحرب في عصره. تعلم كثيرا. وقاتل كثيرا. وانتصر كثيرا. وكان قواد الأسكندر كتلة واحدة متحدين مؤتلفين فنيت إرادتهم في إرادة قائدهم الأكبر الأسكندر. والأسكندر كان يراقب بنفسه، ويحقق، ويدقق. فإذا ما رأى مواضع ضعف قواها، وإذا ما رأى مواضع قوة زادها قوة.

أما القيادة الفارسية فكانت سبهللا مركبا دارا لقواد جيشه. وقواد جيشه كانوا كالسمك يأكل بعضه بعضا. اضطرب حبلهم . اتفقوا على أن لا يتفقوا. لهم بعدد رؤوسهم آراء. اشتركوا في القيادة، والشركة في الصناعة عداوة. بينهم داء الضرائر. كل ما عرفوه من فنون الحرب إنما هو تقاليد

رسمها الزمان، وتلقاها الأبناء عن الآباء. ثم ترى القائد الفارسي يتحفز للوثوب على زميله القائد الإغريقي، أو القائد الأشوري، أو القائد السوري إذا ما رآه قد أصاب حظوة لدى دارا.

والقيادة إذا ما اتحدت، أو توحدت قويت، ونجحت. وإذا ما تنازعت، أو تعددت ضعفت، وفشلت.

كان دارا يتحرق لأخذ الثأر . التقى الجيشان في نوفمبر سنة ٣٣٣ على مقربة من أيسوس Issus – في جهة تعرف الآن باسم أرسلان بوغاز، وطوبراق قلعة سي – على ضفتي نهر بيناروس Pinaros واسمه التركي (دلي چاي) وكان جيش دارا مؤلفا من ٦٠٠,٠٠٠ مقاتل، وجيش الأسكندر لا يزيد على ٤٠,٠٠٠



أم دارا، وزوجته، وابنه، وبنتاه عندما وقعن في الأسر بعد موقعة أيسوس (راجع صفحة ١٩) ويرى الإسكندر، وصديقه هفسيتون، والأَسْرَى أمامهما جثاة على الركب.

كانت حربًا ضروسًا دارت رحاها بأشد ما يكون من الهول رجَت لها الأرض رجًا. فيها جرح الإسكندر في فخذه جرحًا أَسَالَ منها دمًا غزيًرا. وقد أبدى الأسكندر في هذه المعركة من البسالة، والجرأة ما أدهش قواد الجيشين. إذ على الرغم من إصابته بجرح دام هم الإسكندر بالكر على شخص دارا. ولما آنس دارا الخطر المحدق به ألقى سلاحه، ودروعه، ومعطفه، ورداءه، وملابسه، ومركبته، وعرشه، وولى الأدبار. فلما رأى الفرس أن ملكهم فر من الميدان ألقوا سلاحهم ولاذوا هم أيضا بالفرار خاسئين.

وقد غنم الأسكندر كا ما كان في ميدان الفرس من ذخائر، ومهمات، وأسلحة، وأسر جميع أفراد عيلة دارا. أمه، واسمها سيزى جمبيس Sysigambis وزوجته ستاتيرا Stratira وابنه وعمره ٦ سنواتن وبنتيه إحداهما ستاتيرا (مثل اسم أمها) وعمرها ١٦ سنة. كما وقع خصى دارا باجواسBagoas أسيرا، وقد مثلوا بين يدي الإسكندر أذلاء داخرين. وقد بالغ الإسكندر في حسن معاملتهم، وأذن لهم في أن يدفنوا نبلاء الفرس، وأن يأخذوا من النفل، والإسلاب ما يريدون. وبلغ عدد قتلى الفرس ٦٠,٠٠٠ من المشاة، و١٠,٠٠٠ من الفرسان، و٤٠,٠٠٠ أسير

ويقول أحد مؤرخي الفرس أن دارا طلب الصلح من الأسكندر، وعرض افتداء أمه، وزوجته، وبنتيه، وابنه بمبلغ ١٤٤٠٠٠ جنيه فرفض الأسكندر، وأفهم الرسول أنه لا يضمر شرا لا لدارا، ولا لأهله، وكل ما

يريده أن يمثل دارا بين يديه ليتسلم أهله، ويعترف له ببسط سلطانه وحده بلا شريك على آسيا كلها.

وختم حديثه بقوله للرسول (لا تشرق على الأرض إلا شمس واحدة. فلا يمكن أن يكون لها إلا سيد واحد)

ظن أهل دارا في بداية الأمر أن دارا قتل، وأرادوا أن يقيموا له مأتما . إلا أن الإسكندر هدأ روعهم، وأكد لهم أنه لم يقتل فتنفسوا الصعداء، وزال عنهم بعض الهم، والغم. كان الإسكندر على مساءتهم مقيتا. إلا أنه عاملهم معاملة الملوك حتى أنه لم يتطلع إلى ستاتيرا زوجة دارا، ولم يلامسها، وقد كانت فلقة قمر مهفهفة خصرها مرهف لم تر العين مثلها حسنا، وجمالا.

وانتصار الأسكندر في واقعة أيسوس سهل له غزو سوريا، وفلسطين، ومصر.

يعد تشتيت جيش دارَا زحف الإسكندر شطر الجنوب؛ ليستولي على جميع ثغور البحر الأبيض، وفي الوقت نفسه أنفذ قائده الأكبر بارمنيون Parménion إلى دمشق ليستولي على كنوز دارَا قبل أن تتسرب، أو تتبدد. وبالفعل دخل بارمنيون دمشق، واستولى على كنوز دارا.

خضعت الموانئ كلها للإسكندر. فبدأت رواد ثم ببلوس (جبيل الآن) ثم صيدا بالتسليم. أما صور Tyr فقاومت. ولتتمكن من احتمال

الحصار أرسلت نساءها، وشيوخها، وأطفالها إلى قرطاجة (تونس). لأن الفينيقيين – ومنهم أهالي صور – هم الذين أسسوها. حاصرها الأسكندر من يناير سنة ٣٣٢ إلى أغسطس سنة ٣٣٢ – ثم فتحها عنوة، والحرب غَوَّل للنفوس. فقد قَتَلَ الأسكندر من أهلها ٨٠٠٠ وأسر ٣٠,٠٠٠ باعهم أرقاء عملا بسنة الحرب التي كانت متبعة في ذلك الوقت عند قدماء اليونان.

ولهذه القسوة البالغة حد الوحشية سبب. هو أن أهالي صور مثلوا بأسرى جيش الأسكندر، ونكلوا بهم أشنع تنكيل. عذبوهم ثم شوهوهم ثم ألقوهم في البحر على مرأى من زملائهم. فثارت ثائرة الأسكندر، وجنده، وثأروا لإخوانهم بأن مثلوا بأعدائهم هم أيضا شر مثلة.

في أثناء حصار صور – وبينما كان الأسكندر في مدينة ماراثوس Marathos – وصل إلى الأسكندر وفد من لدن دارا ضم عشرة من ذوي قرابته حملوا إليه كتابا يعرض عليه فيه مليوني جنيه وربع مليون، وعقد محالفة دفاعية هجومية. والتنازل له عن جميع البلاد الواقعة غرب الفرات. وليضمن له الوفاء عرض أن يزوجه من بنته؛ لتزلفه عنده. وليستسيغ الفرس التنازل عن هذه البلاد الواسعة أذاع دارًا أن هذه البلاد ستكون مهر بنته. عقد الأسكندر مجلسًا حربيًا جمع جمجمة المقدونيين، والإغريق، وشاورهم في الأمر. ومن طريف ما يروى أنه لما جاء دور بارمنيون أجاب "لو كنت الأسكندر لقبلت ما عرضه دارا". فأجابه الأسكندر على الفور

"وأنا كذلك لو كنت بارمنيون. غدا ندقهم دقا. ونقاتلهم حتى تضع الحرب أوزارها".

وبعدما استولى على مدينة "صور" زحف الأسكندر بجيشه إلى أن وصل إلى مدينة عكا، فدخلها، وغنم ما فيها.

ولتسهيل غزو البلاد كان الأسكندر يعامل الممالك، والإمارات، والدويلات، والولايات التي تستسلم له، وتخضع بلا حرب، ولا قتال معاملة حسنة. كان يترك ملوكها، وأمراءها، وحكامها يحكمون كما كانوا بعدما يطعَم نظام حكوماتهم بالمبادئ الديموقراطية: حكم الشعب بالشعب لخير الشعب.

السيف أصدق أنباء من الكتب.

بعدما رفض الأسكندر ما عرضه دارًا زحف نحو الجنوب دون أن يلاقي مقاومة تذكر،

ويروي أنه لما وصل الأسكندر إلى أورشليم Jérusalem (بيت المقدس) طلب من جدَوس Jaddous رئيس الكهنة أن يمده، وجنده بالميرة لأنهم كانوا في حاجة ماسة إليها فرفض. اغتاظ الإسكندر وجن جنونه، فأمر جنده بدخول المدينة جبرا . ولكن بمجرد ما وصل الجند إلى أبواب المدينة أبصر الأسكندر مكتوبا على التاج الذي كان على رأس كبير الكهنة اسم الجلالة – الله باللغة العبرية Vehovah – فانبرى من بين

جنده، وجثا على ركبتيه. دهش بارمنيون وإخوانه من ركوع الإسكندر. سألوه في ذلك، وقالوا له كيف تركع أمام رجل، والملوك تسجد لك. فقال أنا لم أركع أمام رئيس الكهنة بل ركعت أمام الله . ثم زاد فقال أنه لما كان في مقدونيا في مدينة (ديون) Dion فكر في سبيل لبسط سلطانه على آسيا . فرأى في المنام رئيس الكهنة هذا بنفسه لابسا الثوب الذي عليه الآن، وقد أشار عليه بعبور الدردنيل، ومحاربة الفرس، وبشره بأنه سيبسط سيادته على آسيا كلها. ومن ذلك اليوم لم ير رجلا يشبه الرجل الذي رآه في منامه بسيماه، وثيابه إلا رئيس الكهنة هذا. فصدق الرؤيا، وأيقن أنه سيقهر دارًا، ويغزو آسيا بعناية الله، وتوفيقه. ولما دخل المعبد في أورشليم حضر الشعائر الدينية التي أقيمت لله تعالى ثم أطلعه كبير الكهنة على كتاب سيدنا دانيال، وفيه أن أحد الأغارقة سيقوض أركان سلطنة الفرس. سَرَ الإسكندر من هذه المصادفات، ومن فرط سُرُورُه أمر بترك اليهود، وما يدينون، وأعفى جميع يهود فلسطين، وبابل، والفرس من الخراج مدة سبع سنوات.

بعد ذلك واصل الأسكندر زحفه إلى أن وصل إلى مدينة غزة. وكانت قلعة حصينة قائدها خصى ذو بأس شديد اسمه باتيس Batis فلما طلب منه التسليم رفض. حاصرها الأسكندر شهرين. ثم استولى عليها عنوة.

كاد الأسكندر يلاقي حتفه أمام غزة؛ لأن أعرابيا من أتباع باتيس Batis أبصر الأسكندر، وهو يقود جنده المهاجمين فاندس بين الجند،

وهوى بنفسه على قدميه متظاهرا بأنه يريد الانضواء تحت لوائه. جازت الحيلة على الأسكندر، فرفعه من الأرض وقربَه إليه. فانتهز الأعرابي الفرصة، واستل سكينًا كان يخفيه تحت ملابسه، وهَمَّ بضرب الأسكندر. إلا أن الأسكندر مال، وتنحى، وطعن الأعرابي طعنة ألقته على الأرض قتيلا. ولم يكد الأسكندر ينجو من طعنة الأعرابي حتى أصابه في كتفه شواظ من نار جرحه جرحا بالغا. فترنَح ذات اليمين، وذات اليسار ثم أغمى عليه. ارتد جند الأسكندر قليلا ثم استجمعوا قواهم، وهجموا على القلعة، واستولوا عليها، وغنموا ما كان فيها من كنوز، وذخائر، وأسلحة، وأسروا قائدها باتيس، وكان عبدا أسود. صخري الوجه. كبير الرأس في عظمة. بدينا بطينا. هيئته جذابة أخاذة. له عينان براقتان. وقد بلغ عدد القتلى من أهالي غزة عشرة آلاف بيعت زوجاتهم، وأمهاتهم، وأولادهم أرقاء.

أظهر الأسكندر إعجابا كبيرا بشجاعة هذا الرجل – والأسكندر خير من يقدَر الشجاعة – وعلى الرغم من خيانة الأعرابي الذي حاول اغتياله بتحريض باتيس فإن الإسكندر فكر في العفو عنه تقديرا لشجاعته، وعملا بالقول المأثور "عفو الملوك أبقى للملك" إلا أن الرجل لما مثل بين يدي الأسكندر صعَد فيه بصره، وصوبه، وكلمه كلاما أخشن من الحجر. وتجبر أمامه، وتكبر، وتنمر. فثار الأسكندر، وكاد يدخل بعضه في بعض غيظًا، وقال سبيله أن تسقى الأرض من دمه. عرَاه الأسكندر ثم ربطه من رجليه في مركبة قادها هو بنفسه في وسط المدينة، وما كاد يعود من حيث بدأ إلا، والرجل جثة مهشمة جامدة هامدة.

(٣) غزو مصر

بعد الاستيلاء على غزة استأنف الأسكندر زحفه. وبعد سبعة أيام وصل إلى الفرما Peluse أول حدود مصر. وفيها وجد أسطوله ينتظره.

فرحت مصر بحضور جيش الأسكندر. لأن الفرس كانوا طردوا فرعون مصر تقتنب الثاني، وأسرفوا في الظلم، والنهب والعبث، والتخريب، والتعذيب. وسلبوا ما كان في المعابد من كنوز، وتحف، وآثار، ونقلوها إلى بلادهم. كما كانوا سلبوا من مدينة أتينا، ومن المدن اليونانية الأخرى ما كان فيها من كنوز، وتحف، وآثار، ونقلوها إلى بلادهم (أعادها الأسكندر إلى أصحابها بعدما انتصر على الفرس، وغزا بلادهم) كما قتل ملكهم أوخوس Ochos – من قبل – العجل أبيس الذي كان يجله المصريون، ويقدسونه .

ولما بلغ الأسكندر مدينة منفيس عاصمة القطر تقدم حاكم مصر مازاكس Mazakès (وقد قتل سلفه ساباكس Sabakès في واقعة ايسIssus) سلمه الحامية، وسلمه القلعة، والمال الذي كان في الخزانة، وقد قدر بمليون، وستمائة ألف جنيه.

ومما سهل للأسكندر كسب عطف المصريين أنه أمر باحترام المعابد، واحترام ديانة المصريين، واحترام عقائدهم، وأمر بتركهم وما يدينون.

وليستميلهم إليه قدم القرابين، والذبائح لمعبود المصريين. كما قدم القربان للعجل أبيس.

وأمر بتعمير، وتجديد معبد طوطميس الثالث بالكرنك، ومعبد أمينوفيس الثالث بالأقصر. ولما استتب له الأمر في مصر أجلسه الكهنة على العرش في معبد فتاح بممفيس. وعملوا له المراسيم الدينية المعتادة. ولما بايعه كبير الكهنة فرعونا على مصر (وملكا على الوجه البحري، وملكا على الوجه القبلي، ولقبوه بابن معبودهم رع، ومحبوب معبودهم آمون) خر له الناس سجدا؛ لأنه يوصف كونه ملكا على مصر، وابن رع، ومحبوب آمون حق له من القداسة ما كان لفراعنة مصر لدى السبعة الملايين من المصريين الذين كانوا يسكنون وادي النيل في ذلك الوقت. والذي سهل أيضا للأسكندر كسب عطف المصريين أنه كان في مصر جاليات يونانية كثيرة منتشرة في كثير من أنحاء القطر المصري. وفدت عليها في خلال القرن السابع قبل الميلاد. وكان فيها من بلاد اليونان كثير ممن استقدمهم الفراعنة، واستخدموهم جنودا. وكان فيها فوق هذا، وذاك مدينة يونانية بحتة هي نقراطيس (كشف آثارها العلامة الأثرى فلندرز بيترى في خلال سنة ١٨٨٤ ويقول أنها واقعة على الضفة اليمنى من قناة قديمة تبعد عشرة أميال غرب فرع رشيد) أسسها اليونانيون في عهد بسماتيك الأول فرعون مصر الذي طرد الغزاة، وأعلن استقلال مصر. كما كانت توجد جالية يونانية كبيرة أيضا في ممنفيس عاصمة القطر.

تأسيس الإسكندرية:

ألمع درة في تاج الأسكندر – وهي عظمة عظماته – تأسيسه مدينة الإسكندرية. وقد بناها على مقربة من بلدة راكوتيس القديمة (بين جزيرة فاروس التي فيها فنار الاسكندرية، ورأس التين الآنن وبحيرة مريوط. وبسميها مؤرخو العرب "راقود") وقد وفق الأسكندر في اختيار موقع الإسكندرية؛ لأن موقعها صحي، وهواءها نقي يأتيه من البحر، ومن الصحاري الغربية. وجميع المؤرخين، والسياح الذين زاروها أشادوا بجودة هوائها، وصحة مناخها. منهم ديودور الصقلي Diodore وسترابون Strabon وأميين مارسلين Ammien Marcelin وكنت كورس Quinte-curce وبلين Pline. حتى أن كثيرا من أطباء الأقدمين كانوا يشيرون على المرضى بالسل بالإقامة فيها (راجع صحيفة ٣ من كتاب الأستاذ برشيا مدير المتحف اليوناني الروماني بالاسكندرية) . وشهد بهذا مثلهم المقريزي المؤرخ المشهور (سنة ١٤٤١ ميلادية) . وتدل التقارير الرسمية، والإحصاءات السنوية التي تنشرها الحكومة المصرية على صحة هذه الشهادات. إذ أن وفيات الإسكندرية أقل من وفيات المدن المصرية الأخرى.

وقد ندب الإسكندر أكبر مهندسيه – واسمه دينوكرات Dinocrates – من أهالي جزيرة رودس – لتخطيط المدينة. وتولى الإسكندر بنفسه تعيين مواقع الشوارع، والمعابد، والأسواق، والملاهي. ثم حصنها تحصينا قويا بدلالة وثيقة رسمية هيروغليفية عثر عليها حديثا يرجع

عهدها إلى سنة ٣١١ قبل الميلاد. ذكرت الإسكندرية وسمتها (قلعة ملك الوجهين القبلي، والبحري ابن رع، ومحبوب آمون) إلى أن قيل في هذه الوثيقة (وهذه القلعة كانت على شاطئ بحر الروم، وكان اسمها قديما راكوتيس Racotis) وكان في نية الإسكندر أن يتخذها عاصمة لملكه. وأن يجعلها مركزا للتجارة بين آسيا، وأوروبا، وإفريقيا.

وقبل أن يبرح ديار مصر ولى عليها كليومين من سراة نقراطس Cléomènes de Naucratis وأوصاه بأن ينجز ما بدأه هو، وتم تأسيس الإسكندرية في عهد بطليموس الثاني، وصارت تضارع أعظم مدن العالم. وقد زارها كثير من أباطرة الرومان مثل الإمبراطور فسبازيان Vespasien وابنه دومسيين Domitien والإمبراطور هادريان Hadrien (وقد زارها مرتين) وكومود Commode وسواري Septime Sévère وباسمه سمي (العمود السواري) . ويقال أن سميراميس ملكة أشور، وبابل زارت الإسكندرية. كما زارها لا وميدون ملك ترواده.

وقد بلغت عظمة الإسكندرية شأوا كبيرا عندما اتخذها البطالسة عاصمة للديار المصرية. ولما فتح عمرو بن العاص ديار مصر أراد أن يتخذها عاصمة القطر بدل ممفيس، ولكن سيدنا عمر لم يوافقه.

ولتخطيط، وتجميل مدينة الإسكندرية استقدم الأسكندر من بلاد اليونان كثيرا من المهندسين، ومن المعماريين، ومن الفنانين، ومن مهرة الصناع، وكل من له بسطة في علم، أو فن. وبينما كان الإسكندر يعمل في

تأسيس مدينة الإسكندرية ورد له نبأ استيلاء أسطوله على جزر الأرخبيل اليوناني مثل جزيرة تندوس Tenédos وجزيرة لسبوس Lesbos وجزيرة خيوس Chios وجزيرة Cos ولما مثل أسرى جزيرة تيندوس أمامه أمر باعتقالهم، وأرسلهم إلى أسوان في جزيرة فيله.

استولى الإسكندر على مصر، وكان عمره ٢٤ سنة فقط. أراد الإسكندر أن يزور واحة سيوه؛ ليستوحي آمون معبود المصريين، ويستلهمه. وليسمه الكهنة ابن آمون. سافر من راكوتيس في محاذاة شاطئ البحر الأبيض. وقد صحبه في هذه الرحلة بطليموس (الذي استوى على عرش مصر فيما بعد) وكاليستين مؤرخ غزواته. وفي أثناء الرحلة التقى بوفود حضرت إليه من برقة (ليبيا) قدمت إليه هدايا كثيرة عربونا لولائهم، وإخلاصهم، ودعته لزيارة ليبيا. ولما وصل إلى مدينة باريتونيوم Paroetonion (مرسى مطروح الآن – والعرب يسمونها البرطوم، وهو تحريف لاسم باريتونيوم) اتجه جنوبا نحو واحة سيوه التي تبعد عنها مسيرة ١٢ يوما. كانت الرحلة شاقة جدا. وزادها مشقة نفاد الماء الذي جلبه الإسكندر على الجِمَال. ومصادفة سفر الحملة في الشهور الواقعة في صميم الحر. ثم هبوب عاصفة هوجاء من ريح سموم ذرت الرمال في وجه الجند لدرجة يئسوا معها من النجاة. وبينما الإسكندر، وجنوده على هذه الحالة من اليأس. وإذا بمطر غزير يهطل عليهم فاستبشروا خيرا. وزادوا استبشارا بظهور غرابين في سماء الصحراء (وقيل ثعبانين) فاستبشر الإسكندر خيرا بظهورهما. وأمر القافلة بالمسير في اتجاه الغرابين. فساروا حثيثا إلى أن رأوا على بعد أشجار النخيل، والزيتون التي كانت بالواحة.

ولما دخلوها وجدوا عيون ماء وفيرة – منها العين المقدسة، وعين الشمس – كما وجدوا بحيرات عدة. وبمجرد وصول الإسكندر قصد معبد آمون الذي كان قائما على ربوة اسمها الآن (يغورمي) وكان معبد آمون سيوه فرعًا من معبد آمون الكرنك.

راع الكهنة حضور الإسكندر المقدوني إلى واحة سيوة. وراعهم تجشمه المشاق الهائلة للوصول إليها. ولاسيما أنه لم يسبق أن فرعونا من فراعنة مصر حج إلى سيوة. ولما رأى الكهنة الإسكندر، وجنده هرعوا إليه، واستقبلوه استقبالا رائعا، وأدخلوه المعبد. ثم تقدم إليه كبير الكهنة – وكان شيخا فانيا يجيد اللغة اليونانية – وأحضر معه المعبود آمون، وحيا الإسكندر باسم (ابن آمون) . ثم أدخله وحده داخل حجرة في المعبد. وفيها استوحى الإسكندر آمون رع. فأوحى إليه بما أوحى. وتقبل الإسكندر وحيه، واستبشر. وذاع خبر الوحي، وطبق الأفاق. واعتقد الناس أن الإله آمون أخذ ابنه الإسكندر في رعايته، وعنايته وكتب له النصر في جميع فتوحاته، وغزواته . قد جاء المستقبل مصدقا، ومؤيدا لنبوءة آمون. مما حمل الإسكندر على أن يوصي بدفنه بعد موته في واحة سيوه في حضن أبيه المعبود آمون. وقد كتب الإسكندر إلى أمه (أولمبياس) كتابا قص عليها فيه رحلته إلى واحة سيوة .

وها نص الحديث الذي دار بين كبير الكهنة، والإسكندر على ما رواه بعض المؤرخين:

كبير الكهنة: السلام عليك يا بنيَ. تقبل هذا اللقب من الإله آمون.

الإسكندر: أتقبل هذا الاسم يا أبت، ومن الآن سأسمي نفسي ابن آمون رع.

كبير الكهنة: تعال. أنت ابني من صلبي. أحبك حبا جما سيبقى ما دام رع.

وسيبقى ملكك، وعزك ما دام هورو.

الإسكندر: أسأل الآله رع أن يبسط سلطاني على المعمورة كلها، وعلى الناس كافة.

وبعد أن انتهت رحلة واحة سيوة زايلها الإسكندر إلى منفيس من طريق واحة قارة، ومنخفض القطارة. فوصل إليها بعد مسيرة ١٨ يوما. وفيها وجد وفودا كثيرة وفدت من بلاد اليونان، ومن تراقيا لتقدم له هدايا، وشعائر الولاء، والإخلاص.

وقد أرسل إليه نائبه أنتيباتير Antipater الذي أقامه مقامه في مقدونيا ٤٠٠ من مشاة اليونان الصناديد و٥٠٠ من فرسان تراقيا البواسل.

وقد انتهز الإسكندر فرصة وجوده في مصر، وأرسل بعثة علمية إلى بلاد السودان؛ لتكشف منابع النيل، وتدرس أسباب فيضان النيل،

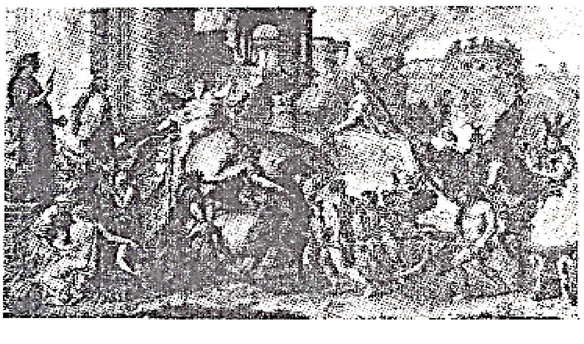
وتحاريقه. سافرت البعثة، وبحثت، وحققت، ودققت. فاهتدت إلى أن سبب فيضان النيل هبوط أمطار غزيرة في بلاد الحبشة. وقد سر أرسطاطاليس بنتيجة أبحاث البعثة؛ لأن علماء اليونان، وغيرهم كانوا يجهلون سر هذه الظاهرة الطبيعية.

والإسكندر الأكبر هو الذي أمر بحفر ترعة الإسكندرية ليوصل إليها المياه من النيل؛ لأن الماء القليل الذي كان يحصل عليه أهالي ضيعة راكوتيس – موضع كوم الشقافة الآن، وهي الضيعة التي شيدت عليها مدينة الاسكندرية – ما كانت تكفي لسد حاجة سكان المدينة الجديدة. فأمر الإسكندر بحفر ترعة كبيرة تأخذ من فرع النيل الكانوبي عند مدينة شيديا – النشو البحري الآن – راجع صحيفي ٩و١٥ من كتاب "تاريخ خليج الإسكندرية القديم" للأمير الجليل عمر طوسون – أما ترعة المحمودية الموجودة الآن فأنشأها مُحَمَّد علي باشا الكبير، وسماها باسم السلطان محمود، وهي تأخذ مياهها من فرع رشيد على مسافة ربع فرسخ من فوه. وقد استخدم مُحَمَّد علي باشا لحفرها ٣١٣ ألف عامل.

وبعد موت الإسكندر – وفي زمن بطليموس فيلادلف – بُنِيَّ فنار الإسكندرية الذي عد أحدى عجائب الدنيا. وقد بناه المهندس سوسترات Sostrate وبلغت تكاليف بنائه ١٩٢,٠٠٠ جنيه ذهب. وكلمة Phare (فنار) مشتقة من اسم جزيرة (فاروس) – رأس التين الآن – حيث شيد فيها الفنار.

أقام الإسكندر في مصر ستة أشهر، وقبل أن يغادرها نصب اثنين من المصريين – وهما بتيزبس Pétisisودولواسبس Doloaspis – على المصالح المدنية في القطر . ونصب يونانيا اسمه أبولونيوس Appolonios حاكما على منطقة الحدود الغربية (ليبيا) ويونانيا مصريا من مدينة نقراطيس اسمه كليومين Cléomène على منطقة الحدود الشرقية (بلاد العرب) وعين اثنين من الضباط المقدونيين مساعدين للحاكمين المصريين .

ولما برح الإسكندر مصر قصد توا فينيقيا (فلسطين الآن) وأقام في صور. وفي أثناء زحفه وصل إليه خبر وفاة ستاتيرا زوجة دارا فحزن عليها، وأمر بأن تكون حفلة جنازتها من الفخر، ومن أروع ما يكون علم، وهو في صور أن دارا ملك الفرس يجهز جيشا جرارا في بابل. قدره بعض المؤرخين بستمائة ألف جندي من المشاة، وأربعين ألفا من الفرسان مزودين بمائتي مركبة حربية. واختار لملاقاة الإسكندر سهول أربل Arbèle على الضفة اليسرى من الدجلة. زحف الإسكندر بجيشه، وكان مؤلفا من ٥٠,٠٠٠ مقاتل مر ببلدة



دخول الإسكندر مدينة بابل.

نصيبين ثم بمدينة نينوى (أمام الموصل) واستمر زاحفًا إلى أن التقى بجيش الفرس في جوجاميل (شمال أربل) وفي أول مايو سنة **٣٣٢** قبل الميلاد نشبت المعركة بين الجيشين بأشد ما يكون من العنف، والاستبسال دكت منها الأرض دكا. ولما رأى دارا أن الإسكندر يتولى قيادة الفيلق الذي صوبه نحوه أوجس في نفسه خيفة وفر من الميدان، وترك جنوده أشتاتًا، فبطش بهم الإسكندر تلك البطشة الكبرى التي جعلتهم حصيدًا خامدين.

اقتفى الإسكندر أثر دارا. ولكن دارًا كان أسرع، وهرول إلى بلاد الكرد فلم يتمكن الإسكندر من أسره. ولما بلغ الإسكندر مدينة أربل وجد فيها كنوز دارًا، وكمية هائلة من ذخائر الحرب فاستولى عليها كلها. ولما تقمص الولاية، والإمارة، واستتب له الأمر لقب نفسه (ملك آسيا). ثم سار بجيشه إلى أن وصل إلى بابل. وقبل أن يدخلها مثل بين يديه حاكم القلعة، والكهنة، وأعيان ووجوه المدينة، وقدموا له الطاعة، وبايعوه (ملكًا على بابل) وبهذا انسلخت بابل من حكم الفرس. كما انسلخت مصر من قبل. ولكسب عطف رعاياه الجدد أمر الإسكندر بتجديد، وتعمير جميع المعابد التي دمرها الفرس. على الأخص معبد مردك.

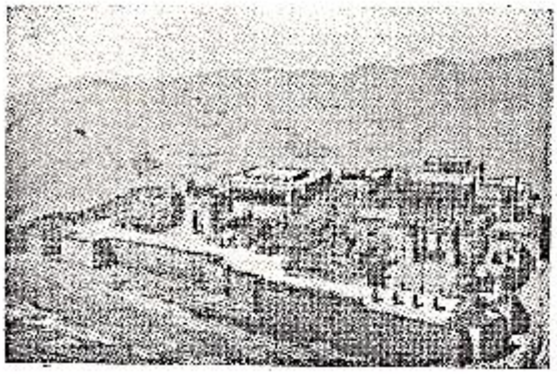
أقام الإسكندر شهرًا في بابل ثم زحف بجيشه نحو الشرق. وفي أثناء زحفه مر على مدينة (الري) حيث أقام تسعة أيام، وقد شيد فيها سلويكوس الذي خلف الإسكندر الأكبر – وكان أول ملوك عائلة

السلويكوسيين – قصورا فخمة وصارت الري في عهده مدينة زاهرة . إلا أن المغول غزوها في خلال سنة ١٢٢١ ودمروها، وجعلوا عاليها سافلها.

وقد فتحها العرب في السنة الثانية والعشرين من الهجرة – سنة ٦٤٣ ميلادية – في عهد سيدنا عمر بن الخطاب. فسار المسلمون تحت قيادة نعيم لقتال الفرس فهزموهم، وأسروا قائد الفرس اسفندياز. وبعد أن فتح العرب "الري" بسطوا سلطانهم على طبرستان، وجرجان، وما إليها. والري بلد من بلاد الديلم من العراق العجمي على بعد خمسة كيلو مترات من طهران، وكانت مدينة من أمهات البلاد. قال الاصطخري أنها كانت أكبر من أصبهان،

وبعد مسيرة ٢٠ يوما وصل الإسكندر إلى مدينة "سوس" Suze حاضرة الأخمينيين (وبالفارسية هخامنشي) وفيها وجد الخزائن عامرة بسبائك وافرة من الذهب، والفضة قومها المؤرخون بأربعمائة مليون من جنيهات اليوم.

وبعدما استولى الإسكندر على "سوس" زحف، واستمر زاحفًا إلى أن عبر نهر الأراكس Araxe (واسمه الآن الكر، أو الكور) ووإلى سيره إلى أن بلغ بازارجاد



قصر الملك داران والملك كزركسيس في برسبوليس

(الآن مشاد مراب). وكان كسرى الأول ملك الفرس اتخذها مركزا، وشيد فيها القصور الفخمة. ومنها تابع سيره إلى أن وصل إلى برسبوليس Persépolis (ويسميها العرب اصطخر، واسمها الآن تخت جمشيد على مقربة من شيراز. ويفصلها نهر الكور، أو الكر Araxe) وكانت من أجمل مدن العالم في ذلك الوقت، وقد وصفها أحد الكتاب فقال أنها كانت:

" l'une des grandes merveilles classiques de la terre

وكان ملك الفرس أكزركس Xerxés (وبالفارسية خشايارت) قد شيد فيها قصورا فخمة، ومباني غاية في الأبهة. فلينتقم الإسكندر منه – لأن سلفه كزركسيس سبق أن أحرق مدينة أثينا Athènes وكثيرا من المدن اليونانية – أمر بإحراق مدينة برسبوليس من أولها إلى آخرها "جزاء وفاقا" "ونكالا لما بين يديها وما خلفها". فأحرقها، وتركها قاعا صفصفًا لا دار فيها، ولا ديار. قاصدا بذلك أن يمحو من الوجود ذكر ملك الفرس

أكزركس. وقبل أن يحرقها عمل بقول من قال (من عزيز) أي من غلب أخذ السلب. فسلب جميع الأموال التي كان جمعها فيها ملوك الفرس. وكانت قيمتها تبلغ في ذلك الوقت ١٢٠,٠٠٠ تالنت talents أي ما يعادل ٢٨ مليون جنيه إنجليزي ذهبا. واستولى أيضًا في مدينة بازارجاد Pasargade على أموال مكنوزة قدرت بمبلغ ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ذهبا.

وفي ربيع سنة ٣٣٠ زحف الإسكندر بجيشه، واستولى على آخر حاضرة للفرس هي مدينة أكباتان (ومحلها الآن همذان، ومنها بديع الزمان الهمذاني، ومهران الهمذاني).

أراد الإسكندر أن يقطع دابر دارا. فعزم على مطاردته إلى أن يقبض عليه. إلا أن بسوس Bessus حاكم ولاية باكتريان (بخاري) – وهو الذي غصب فيما بعد عرش الفرس، وسمى نفسه أرتاكزركس Artaxersès (وبالفارسية أرتخشيرشا. وقد ذكر في الشاهنامة باسم أردشير) اعتقله، وقبل أن يدركه الإسكندر قتله. فلما وصل الإسكندر إلى باكتريان لم يجد أمامه إلا جثة هامدة. فأمر بدفنه في برسبوليس في مدافن آبائه، وأجداده باحتفال عظيم يليق بمقامه. ولا تزال آثار قبره موجودة حتى الآن في تخش رستام (ضواحي برسبوليس) ويصفها مؤرخو الإفرنج بقولهم أنها كانت :

Le Reims ou le Westminster des Achéménides

ويقولون عنها أيضًا أنها كانت:

" La plus opulente ville qu'il y eût sous le soleil "

أي أغنى مدينة وجدت تحت الشمس. وكان عمر دارًا وقت قتله ٥٠ سنة. وقد قتل في شهر يوليه سنة ٣٣٠. وكان آخر ملوك عائلة الأخمينيين، وكان عددهم ١٣ ملكا حكموا ٢٠٩ سنة. وكان ملكهم يمتد – على حد تعبير أحد ملوكهم – من البلاد التي لياليها قر إلى البلاد التي لياليها حر.

يقول شاعرنا العربي : "إن الطعام يقوي شهوة النهم" L'appétit vient en mangeant فلما رأى الإسكندر أن البلاد التي أخضعها تخضع له بلا مقاومة زحف، واجتاز جبال البرز، واستولى على البلاد الواقعة على مقربة من بحر قزوين. فاستولى على بخاري، وتركستان، وأفغانستان، وبلوخستان. وأسس ثلاث مدن سماها (إسكندرية). الأولى وتسمى الآن هرات Hérat في مقاطعة خراسان. والثانية في جنوب هندكوش (وهي الآن قندهار). والثالثة في بلاد القوقاز (وهي المدينة الثالثة عشر التي سميت "الإسكندرية" باسم الإسكندر)

انتهز الاسكندر فرصة وجوده في البلاد الواقعة على مقربة من بحر قزوين وجرد حملة عسكرية علمية لتدرس طبيعة بحر قزوين، وتعرف إن كان هذا البحر يتصل بالأوقيانوس، أو هو بحر قائم بنفسه في وسط البلاد المحيطة به.

علم الإسكندر في آخر صيف سنة ٣٣٠ أن بسوس Bessus نصب نفسه (ملكًا على آسيا) باسم أرتاكزركسيس Artaxersès فوالى الإسكندر مطاردته إلى أن قبض عليه بطليموس أحد قواد الإسكندر (وهو الذي أسس في مصر بعد موت الإسكندر دولة البطالسة، ونودي به ملكًا على مصر) فأمر الإسكندر بجدع أنفه وصلم أذنيه ثم أرسله إلى همذان حيث أعدم صلبا.

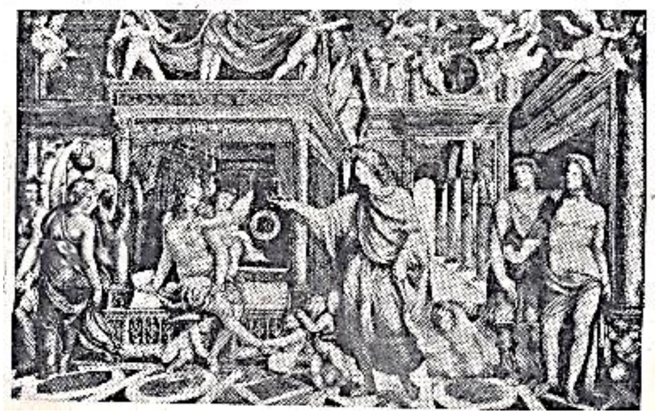
استمر الإسكندر في زحفه إلى أن وصل إلى مدينة "سمرقند، وبوصوله إلى نهر ياكزارت (سردارية الآن) بلغ أقصى حدود بلاد الفرس من جهة الشمال الشرقي. وفيها أسس مدينة جديدة سماها الإسكندرية القصوى (وهي الآن خودشنت).

وهنا حدث حادث كانت له أهمية خاصة في حياة الإسكندر. ذلك أن أحد قواد أرتاكزركسيس Artaxersès واسمه الأمير أوكسيارت Oxyarte اعتصم بقلعة حصينة اسمها قلعة إرياماز مشيدة في وسط البلاد الواقعة بين بخاري، وبلاد أفغانستان. فلما وصل الإسكندر إليها حاصرها ثم طلب من الأمير التسليم فأبى، وتحداه. فأمر الإسكندر جنده بتسلق جدران القلعة. ووعد من يفوز منهم بمكافأة مالية كبيرة. وما هي إلا لحظة حتى وثبت الرجال من أماكنهم كالأسود الضارية، وتسلقوا القلعة في جوف الليل. ولما يئس المحاضرون من المقاومة سلموا.

كان من بين الأسرى روكسان Roxane بنت الأمير أوكسيارت. وكانت ناهدة الثديين. لطيفة الخصر، والقدمين. غضة بضة كأنها سبيكة فضة. وكأن عينيها كوكبان دريان. ويقال أنها وستاتيرا زوجة دارًا كانتا أجمل نساء الفرس. فلما رآها الإسكندر هام بها. وأصاب حبها شغاف قلبه. ورغب في الزواج منها. وقد تمت حفلة زواجه بها في قلعة خورين Choriène التي سلمت بعد ما سلمت قلعة إرياماز. وكان زواج الإسكندر بروكسان حسب العوائد، والتقاليد الإيرانية . ومنها أنهم استحضروا رغيفًا شطره الإسكندر بسيفه شطرين (ولا تزال هذه العادة متبعة عند أهالي تركستان حتى اليوم)

بعد زواج الإسكندر، وبعد بلوغه ذروة المجد العسكري. وبعد أن بسط سلطانه على جميع البلاد الواقعة بين البحر الأبيض، وحدود الهند. دبرت مؤامرة لاغتياله. وكان من المؤتمرين به ليقتلوه فيلوتاس من أعظم قواده، وأبوه بارمينيون أكبر قواده، وعمره ٧٠ سنة. حاكمهما الإسكندر أمام مجلس عسكري. والمجلس حكم عليهما بالإعدام.

وقد حدثت حادثة ثالثة فرح لها قلبه من الحزن. ذلك أن الإسكندر كان أقام



زواج الإسكندر بروكسان

حفلة في سمرقند دعا إليها سماره، وخواصه. وكان من بينهم صديقه الحميم كليتوس Clitus (والإسكندر مدين له بحياته إذ أنقذه من الموت في موقعة الجرانيك، وهي أول موقعة نشبت بينه، وبين جيش دارًا). وفي أثناء الحفلة، وكانت الخمور قد لعبت بالرؤوس – والخمر جماع الإثم – تبادل الأسكندر، وكليتوس الكلام بشدة، وعنف. فاض صدر الإسكندر من الغيظ، وظن أن هناك مؤامرة أخرى مدبرة لاغتياله. فثار ثائره، وأفرط بيده إلى سيفه؛ ليستله ثم طعن صديقه طعنة أطارت عظامه فضاضا. ولما تنفس الصبح، وأفاق الإسكندر من سكرته، وعرف ما جنته يداه انفجر باكيًا. وغشيه همًا، وغم. لأن موت كليتوس كان ثلمة في الجيش لا ترتق. اعتكف الإسكندر في كن بيته لا يكلم الناس ثلاثة أيام، وثلاثة ليالٍ سويا. اضرب فيها عن الأكل، والشرب واحتجب عن خلانه، وسجرائه.

هذا ولما وصل الإسكندر إلى حدود الهند دفعه زهوه، وحب الاستطلاع إلى غزو بلاد الهند. وكان قد سمع الشيء الكثير عن غنى أمرائها. فأراد من جهة إخضاعها لسلطانه، ومن جهة أخرى معرفة تلك البلاد النائية التي روي له عنها الرواة كل عجيب، وغريب.

وقد اتخذ غزو الهند ذريعة لحث البعثة العلمية التي تصاحبه على درس جغرافية هذه البلاد، ودرس نباتاتها، وحيواناتها، ودياناتها، وعاداتها، وكل ما يهم العلم معرفته عنها. ففي سنة ٣٢٧ قبل الميلاد برح الإسكندر بلاد باختر Bactriane وبرفقته زوجته الأميرة روكسان (وقد ولدت له ولدا في السنة التالية. ولكنه مات، وهو صغير). وبعد أن اجتاز وادي كابول دارت بين الإسكندر، والهنود معارك عدة جرح الإسكندر في إحداها كما جرح بطليموس.

وفي أثناء زحفه استولى على قلعة ماساجا Massaga الحصينة. ثم اجتاز وادي (بشاور) واستولى على سلسلة جبال بيرسار ثم اجتاز نهر أورنوس Ornos إلى أن بلغ بلاد البنجاب. ثم عبر نهر الهندوس في ربيع ٣٢٦ والتلقى بأمراء الهند على نهر هيداسب. دارت رحى المعركة بأشد ما يكون من الهول. وفيها انتصر الإسكندر على الهنود انتصارًا مبينا. وسلم الملك بوروسPorus نفسه إلى الإسكندر. ولما سأله الإسكندر كيف يريد أن يعامل أجابه بأنه يريد أن يعامل معاملة الملوك. فأجابه الإسكندر إلى طلبه. وعامله معاملة الملوك. وكانت هذه المعاملة أساس صداقة متينة بينهما. وقد أسس الإسكندر في المنطقة التي حصلت فيها الموقعة مدينتين

سُمِّيَ الأولى Nicée (أي المنصورة) والثانية بوسيفالي Bucéphalie باسم جواده المشهور Bucéphale . ولما أراد الإسكندر التوغل في بلاد الهند تذمر الجند، ورفضوا المسير، وقالوا إن الحرب أضنتهم، وأنهم يودون العودة إلى بلادهم. وكانوا قد قطعوا في ثماني سنوات ونصف سنة – من يوم أن زايلوا وطنهم ووصلوا إلى الهند – ١٨,٠٠٠ كيلو متر، وزادهم تصميما على رفض السير أن مطرا لا يغضض استمر يهطل عليهم ٧٠ يوما حتى أنهك قواهم المادية، والمعنوية . ولتخليد ذكرى وصول الإسكندر إلى الهند شيد ١٢ معبدًا في شكل أبراج.

ولكسب عطفه، ورضاه خطأ بعض الجند نحوه، وعرُّوا أجسامهم، وأبانوا له جروحهم، وهزالهم. ولما ذكرهم بما غنموه من الأموال، والأسلاب، والسراري أجابوه (ومن منا يستطيع جر ما غنمه من الهند إلى مقدونيا) ثم استعطفوه بصفته أباهم، وسيدهم، وملكهم متضرعين إليه بأن يرأف بهم، وأن يشفق على نفسه، وعليهم.

ثم تقدم أسن قواده سينوس Cenus وقال له "إن لبدنك عليك حقا. ارحم نفسك، وجسمك تركت مقدونيا من زمن مديد أنساك أهلك ،ووطنك، ولغتك. إن ثيابك تستر في جسمك جروحًا أصابتك من سلاح الفرس، ومن سلاح شعوب، وقبائل تعد بالمئات. وطئت قدماك أرض آسيا، وأنت أكثر شبان مقدونيا جمالا، وقوة. فانظر الآن ما وصل إليه جسمك من نحافة، ونحول، وهزال".

وقد كهن له الكهنة بسوء المصير إذا أصر على متابعة توغله في آسيا. لم تؤثر فيه بلاغة، ولا ضراعة، ولا شفاعة، ولا تهديد، ولا وعيد . وقال سأغزو بلاد الهند، ولو أغزوها وحدي ثم ألقى بنفسه في النهر، وهو مرتد ملابسه العسكرية وسبح إلى أن بلغ الشاطئ الآخر. فلما رأى جنده ما فعله ملكهم أنصعوا، وتبعوه. ولما رأى سينوس أكبر قواده سنا ما فعله الإسكندر التفت إلى المقدونيين، وقال لهم "هلموا يا أسود مقدونيا. لا يعود الإسكندر إلا بكم، ومعكم" ثم سقط ميتا.

عاد الإسكندر أدراجه. ولما وصل إلى نهر أسبزين Acésine واسمه الآن شناب، وهو أحد الروافد الخمسة التي يتألف منها بلاد البنجاب، والبنجاب معناها الأنهر الخمسة، وجد عامله هيفستيون Hephestion قد أسس مدينة جديدة سماها (الإسكندرية) وكان تأسيسها بناء على أمر الإسكندر. وفيها استقبل سفراء أمير بلاد كاشمير الذين وفدوا ليهدوا إليه ٣٠ فيلا.

كان الإسكندر أراد أن يكشف مصب نهر الهندوس الذي قيل له أنه يصب في المحيط الهندي. فكلف كراتير Cratére أحد مهندسيه بأن يبني له أسطولًا كبيرًا . فاضطر كراتير أن يسير حملات إلى جبال هملايا لجلب الأخشاب من أدغالها، وغاباتها. وبعد مجهود جبار وعمل شاق، وفق لبناء ٨٠٠ سفينة كبيرة، وصغيرة موسقة زادا، وذخائر. اختار لها أمهر البحارة من الفينيقيين، والمصريين، والقبرصيين، واليونانيين. ونصب صديقه نيارك الجريدلي Néarque أميرالا على هذا الأسطول الضخم. أبحر

الأسطول في نوفمبر سنة ٣٢٦ وقبل إبحار الأسطول صعد الإسكندر، وباركه باسم (أبيه آمون).

ثم سار الأسطول على الطائر الميمون. وفي أثناء هذه الرحلة اضطر الإسكندر إلى مقاتلة شعوب هندية كثيرة بعضها أولو بأس شديد. إلا أن الإسكندر قاتلهم، وانتصر عليهم. واستولى على مدن كثيرة منها مدينة البراهمة. وفي إحدى هذه الوقائع كاد الإسكندر يلقي حتفه؛ لأنه أراد أن يبث الحماسة في روح جنده فتسلق سلما، وصعد على جدار حصن ثم ألقى بنفسه في داخل الحصن. فلما رآه الهنود عرفوا من لباسه أنه الإسكندر فانهالوا عليه ضربا، وطعنا فأصابته طعنة في صدره. فخر على الأرض بلا حراك. فلما رآه جنوده قد وقع دبت فيهم روح الحماسة، والانتقام، فنزلوا، وهجموا على الهنود، واعملوا فيهم السيف، والنار إلى أن أفنوهم على بكرة أبيهم هم، ونساؤهم، وأولادهم. ثم حملوا الإسكندر، وأخرجوا الرمح من صدره، وعالجوه إلى أن شفي. وبمجرد شفائه واصل السير على نهر شناب إلى أن وصل إلى نقطة تلاقي هذا النهر بنهر الهندوس. وفيها أمر عامله بأن يبني مدينة جديدة سماها "الإسكندرية" تقع في منتصف الطريق الذي تنتهي إليه هذه الرحلة النهرية.

وفي شهر فبراير سنة ٣٢٥ استأنف الرحلة على نهر الهندوس. وفي خلالها اضطر المقاتلة البراهمة. وانتهز فرصة خضوع بعض الامارات فغير اسم عاصمتهم وسماها " الاسكندرية " ثم أسس مدنا أخرى كثيرة .

وفي يوليه سنة ٣٢٥ وصل الاسكندر إلى مدينة باتالا الواقعة على رأس دلتا نهر الهندوس (حيدر آباد الآن) وبهذا خضعت له كل البلاد الواقعة على نهر الهندوس من بلاد الكشمير إلى الأوقيانوس الهندي. وقد وفق العلماء الذين كانوا معه في هذه الرحلة، فدرسوا طبيعة الأراضي، وكشفوا ما فيها من معادن — ذهب، وفضة، وملح — ونباتات، وحيوانات. كما كشفوا تخطيط هذه البلاد النائية.

أراد الإسكندر أن يعرف مجرى نهر الهندوس. فجرد تجريدة علمية عسكرية شطرها شطرين. رأس هو شطر سار بأسطول مؤلف من أسرع السفن في الفرع الغربي، واستصحب معه ٩٠٠٠ مقاتل. وبعد مسيرة بضعة أيام لاحظ هبوط مستوى النهر ثم انسحابه نحو البحر، ووقوف السفن . وكانت هذه أول مرة رأى فيها أهل أوروبا هذه الظاهرة الطبيعية – ظاهرة جزر البحر – وزادت دهشتهم لما عادت المياه، وارتفعت – ظاهرة المد . بعد ذلك استأنفت السفن المسير إلى أن وصلت إلى الأوقيانوس الهندي. طار الإسكندر فرحا لما رأى لأول مرة المحيط الهندي. فأمر بذبح الذبائح، وتقديم القرابين إلى الآلهة ابتهاجا، وشكرًا على هذا التوفيق الكبير. وبعد ذلك عاد الإسكندر إلى باتالا، واجتاز الفرع الغربي إلى أن وصل إلى المحيط مرة أخرى. ومنه رجع إلى باتالا (حيدر آباد).

وفي أواخر أغسطس سنة ٣٣٥ قبل الميلاد بدأت رحلة العودة إلى الوطن. وفي أثناء الرحلة أمر بتأسيس مدينتين سماها (الإسكندرية) إحداهما في داخل البلاد، والأخرى على شاطئ البحر. ثم دخل فيافي

بلوشتان: وكانت فلاة جرداء لا ماء فيها، ولا زاد. فقاسى الجند أهوال الحر، والظمأ، والجوع، والعراة. ومات منهم آلاف. واضطروا إلى ذبح الخيل، والبغال، وأكلها. وكان الإسكندر يواسي المرضى، والجرحى، ويقوي عزائمهم، وكان يسير معهم على قدميه جنبًا لجنب. فواصلوا المسير إلى أن بلغوا مدينة بورا Poura (والآن Kélat عاصمة بلوشستان) وفيها لموا شعثهم، واستراحوا.

ثم واصلوا السير إلى أن بلغوا مدينة الإسكندرية (قندهار الآن) ومنها يمم مدينة بازرجاد حيث دخلها في أوائل سنة ٣٢٤ قبل الميلاد. وقد دهش لما علم أن لصوصًا سطوا على قبر كسرى، ونهبوا ما فيه، وسلبوا جثمانه. بعد ذلك سار حتى وصل إلى مدينة برسبوليس، ومنها إلى سوس. وقبل أن يدخل مدينة سوس التقى بالاميرال نيارك. ومنه علم أن الأسطول طاف الخليج الفارسي، ووصل إلى مصب نهر الفرات.

وقد فرح الإسكندر فرحًا شديدًا بوصول أسطوله سالما بعد أن أدى مهمته خير الأداء. ومن فرط فرحه أنعم على نيارك بتاج من الذهب الخالص مكافأة له، واعترافا بجليل أعماله.

حث الإسكندر جنوده المقدونيين على الزواج من الإيرانيات: بدأ هو فعقد زواجه بستاتيرا بنت الملك دارا. وزوج صديقه هفستيون باختها. وفي ليلة واحدة زوج ثمانين من قواده بثمانين أميرة من أميرات الفرس. وكل جندي مقدوني تزوج من فارسية اتحفه بتحفة مالية عظيمة فتهافت الجند

على الزواج. ويقال أن عشرة آلاف جندي تزوجوا من إيرانيات في الفترة التي أقامها الإسكندر وجيشه في سوس. ثم سرت هذه الروح في برسبوليس، وصور، وهمذان، فتزوج آلاف من الإغريق من بنات الفرس.

وقد وصف المؤرخ إيفيب Ephippe حفلات زواج مائة من الضباط المقدونيين بمائة من بنات الفرس وصفا رائعا. ومما رواه أن حفلات الافراح دامت خمسة أيام متوالية جمعت كل ما أخرجته قرائح الإغريق، والفرس، والهنود من فنون، وآلات طرب بهلوانية، وحواة، وموسيقى، ومطربات، وروايات مسرحية، وسواريخ، وذبائح، ورقص، وغير ذلك).

وفي صيف سنة **٣٢٤** بعد أن أخذ للسفر أهبته زايل الإسكندر مدينة سوس، وبلغ همذان حاضرة الأخمينيين. ومنها انتقل إلى بابل في ربيع سنة **٣٢٣**. وكان في نيته الطواف حول بلاد العرب، والبحر الأحمر. ثم تجهيز حملة قوية تؤيدها ألف سفينة حربية لغزو قرطاجنة (تونس) والبلاد المتاخمة لها، وأسبانيا، وجزيرة صقلية. ومن أجل هذا أرسل بعثة بحرية علمية أولى وصلت إلى جزائر البحرين في الخليج الفارسي ثم عادت قبل أن تتم رحلتها. فأرسل الإسكندر بعثة ثانية وصلت إلى جزائر البحرين هي أيضا ثم عادت . أرسل بعثة ثالثة، وأمرها بأن تسير إلى أن تصل إلى هيرونبوليس Heroonpolis (السويس الآن) ولكن البعثة لم تصل إلى نصف الطريق. أرسل بعثة رابعة وصلت إلى باب المندب ثم نفد ملؤها فعادت، وليسهل المواصلات بين المشرق، والمغرب أسس مدينة على مصب نهر الدجلة سماها (الإسكندرية) تكون فرضة بحرية (لعلها شط

العرب الآن) تصدر منها حاصلاتها إلى بابل، وما إليها. ثم أسس مدينة أخرى على ساحل بلاد العرب سماها الإسكندرية أيضا. رحَل إليها كثيرا من الإغريق، ومن المتطوعين، ومن القوم الرحل.

وقد حدث والإسكندر في همذان أن أصيب صديقه الحميم هيفستيون بحمَى خبيثة أودت بحياته فحزن عليه الإسكندر حزنا شديدا. جن جنونه فبقى ثلاثة أيام طريحا بجوار جثمانه لا يتناول فيها الطعام، ومن فرط غضبه أمر بصلب جلوسياس Glaucias الطبيب الذي عالجه على نعش الميت (وجلوسياس هذا كان طبيب الإسكندر الخاص) ولم يكتف بهذا الأثم الفظيع بل ارتكب آثامًا آخر أفظع منه فأمر بخنق جميع عبيده. وأمر بتدمير مدينة كوسي فهلكت بما فيها، ومن فيها.

ثم صال على الفيلة التي كانت مهداة إليه، وصار يطعنها بخنجره، وهي تفر، وتزأر. ثم جمع أربعمائة أسد من الأسود الضواري في ميدان مسور ألقى فيه ٣,٠٠٠ من الأسرى، والعبيد فتلاحموا والأسود، وانتهت الملحمة بموت الأسود، والعبيد على بكرة أبيهم. وأبطل الأفراح، والمآدب أياما بطلت فيها الموسيقى، وجميع أنواع الطرب. ثم أمر بنقل جثمانه إلى مدينة بابل. ولتخليد ذكراه أمر بإقامة أثر فخم له. ومن عجيب أمر الإسكندر وهو في همذان أن أرسل بعثة إلى مصر لتزور واحة سيوة وتستلهم أباه (آمون) في أمر صديقه هيفستيون ليلهمه إن كان يصح أن يقدسه، ويرفعه إلى درجة الأولياء، والقديسين، أو يكتفي باعتباره بطلًا من الأبطال. سافرت البعثة، وعادت، وأخبرت الإسكندر أن أباه آمون أجاب

بوجوب اعتبار صديقه (بطلا من الأبطال) فناط الإسكندر بصديقه كليومين Cléomène بأن يشيد له في الإسكندرية مصر معبدين: معبدا في وسط المدينة، ومعبدا في جزيرة فاروس (رأس التين الآن).

بعد ذلك سار الإسكندر إلى بابل. وفي أثناء سفره التقى بوفود كثيرة حضرت إليه من ليبيا، ومن الحبشة، ومن قرطاجنة ومن إيطاليا. ومن سائر البلاد التي غزاها لتهدي إليه هدايا، وتقدم له شعائر الولاء، والإخلاص.

ولما عبر نهر الدجلة التقى برسل من الكلدان جاءوا ليحذروه من دخول بابل بدعوى، أم معبودهم ماردك تنبأ بأن دخول الإسكندر مدينة بابل سيكون دبارا عليه. لم يبال الإسكندر بنبوءة معبود الكلدان، ودخل بابل. وفيها أقام حفلات كثيرة كان يدعو إليها جنده، ووجوه البلد، ومياسيرهم. ويوزع عليها الهدايا، واللحوم، والخمور. وفيها أيضا وجه همه إلى تجهيز حملة كبيرة لغزو بلاد العرب.

وبينما كان الإسكندر يدير شئون بابل أصابته حمىَ الملاريا. وكانت كثيرة الانتشار في هذه البقاع – والحمى بريد الموت – فأقعدته، وصارت وطأة الحمى تشتد يوما بعد يوم إلى أن تجلى نهار ١٣ يونيه سنة ٣٢٣ وفيه تنازعته غمرات الموت ففاضت روحه، ولفظ نفسه الأخير. فكان آخر يوم له في الدنيا، وأول يوم من الآخرة. والدنيا أمد، والآخرة أبد.

ومن عجيب تاريخ الإسكندر أن حياته كانت كلها توفيقات آتاه الله من كل شئ سببا. منذ دب إلى أن شب.

مات الإسكندر، وعمره ٣٣ سنة. بعد أن تولى الملك ١٣ سنة. وبعد أن غاب عن وطنه عشر سنوات قضاها في آسيا غزوا وفتحا، وبعد أن ترك ذكرى لا تفنى أبدا. ولا بعد الأبد إن كان بعده بعد.

* * *

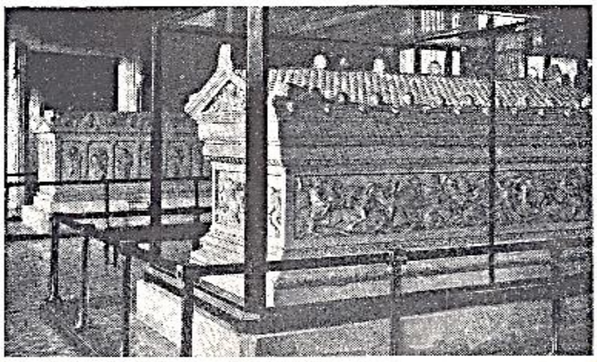
ترك الإسكندر إمبراطورية شاسعة الأرجاء تمتد من الهند إلى مقدونيا. وبعد موته تنازع قواده السلطان على هذه البلاد الواسعة، وانتهى بهم الأمر إلى اقتسامها. فاختص بطليموس Ptoléméeبديار مصر. ولاوميدون Laomédon بسوريا. وفيلوتاس Philotas بكليكيا. ومينالدر Ménandre بليديا (ولاية إيدين). وليوناتوس Léonnatus بفريجي (خداوندكار). وبيتون Pithon ببلاد ميديا . وكولنوس Colnos ببلاد دسوس. وأرخون Archon بمملكة بابل. وخصصوا لأومين Eumène بلاد سوس، وما إليها.

وقبل أن يتنازعوا ملكه تنازعوا جثمانه : ففي اليوم الثامن لموت الاسكندر اقتتل بطليموس، وبرديكاس للاستيلاء على رفاته. وبينما كان القواد يتنازعون جثمانه كانت زوجته روكسان Roxane أخذت جثمانه خفية، وهرَبته إلى دمشق على ظهر جمل. إلا أن حاكم دمشق رفض دخول جثمان اسكندر المدينة . كما رفضت سوس من قبل . كما رفضت همذان من قبل . وفي اليوم الثلاثين لموته فاز بطليموس بالاستيلاء على رفات الإسكندر، ونقلها إلى ممفيس بمصر كما ثبت ذلك من كتابه منقوشة على قطعة من المرمر معروفة باسم "مرمر باريين Parien"

ويقول بوزانياس Pausanias أن جثمان الإسكندر بقى في ممفيس في عهد بطليموس الأول ثم نقله ابنه إلى الإسكندرية بعد ٤٠ سنة. ولكن ديودور الصقلي، وسترابون، وبعض المؤرخين المتقدمين قالوا بأن بطليموس الأول هو الذي نقل جثمان الأسكندر إلى الإسكندرية، ودفنه في البناء المشهور باسم "سيما" وكان جثمانه لا يزال باقيا فيه إلى عهد الرومان.

كانت بيللا Pella عاصمة مقدونيا – ومسقط رأس الاسكندر – أولى بضم رفات الأسكندر. إلا أن بطليموس أراد بنقل جثمان الإسكندر إلى مصر الدعاية إلى مصر بتشويق الناس إلى زيارة مصر بزيارة قبر الأسكندر كما أراد أيضا العمل برغبة الأسكندر الذي أوصى بدفنه في سيوه بجوار أبيه الآله آمون.

ولا يدري إلا الله أين يوجد الآن على وجه التحقيق جثمان الإسكندر. الشائع أنه في الإسكندرية أما في شارع النبي دانيال، أو في كوم الشقافة (محل قرية راكوتيس



ناووس الإسكندر الموجود في متحف إستانبول

القديمة التي شيد عليها الإسكندر مدينة الإسكندرية) ولا تزال الحفريات التي بدأها الاستاذ بريشيا Brescia والأستاذ أدرياني Adriani وسار فيها الأستاذ إلن رو Allen Row مدير المتحف اليوناني الروماني بثغر الإسكندرية جارية بهمة بلدية الاسكندرية. كما أن سمو الأمير الجليل عمر طوسون خصَص شطرا من ماله، ومن وقته، ومن علمه الواسع لكشف قبر الإسكندر.

ويوجد في إستانبول ناووس فخم يقال أنه الناووس الذي كان فيه جثمان الأسكندر. ولكن لم يثبت هذا القول ثبوتا يعول عليه.

والمؤرخون متفقون عليه أن التابوت الذي أودع فيه جثمان الإسكندر كان مصنوعا من الذهب الخالص، وكان مرصعا بالأحجار الكريمة، وكان يحوي كثيرا من المجوهرات التي غنمها الإسكندر من بلاد الفرس من بلاد الهند، ومن سائر البلاد التي غزاها. ولا يعلم إلا الله أن كانت لا تزال موجودة حتى الآن أم سرقها اللصوص كما سرقوا كثيرا من المجوهرات، والتحف، والآثار التي كانت في مقابر الفراعنة.

ومن المآسي التي وقعت بعد موت الإسكندر خصام عنيف قام بين روكسان Roxane وضرتها ستاتيرا Statira. لجأت روكسان إلى أم الإسكندر أولمبياس Olympias لتحميها من شر ستاتيرا. إلا أن أولمبياس أمرت بقتلها هي وابنها. كما أمرت بقتل بارسين Barsine محظية ابنها

الإسكندر هي وابنها . وبعد موت انتيباتير Antipater توالت المآسي في أفراد عائلة الإسكندر فقتلوا على بكرة أبيهم. وهكذا انقرضت عائلة من شاد أكبر إمبراطورية في العالم كما تلاشت إمبراطوريته نفسها.

ذو القرنين

من هو ذو القرنين الذي ورد ذكره في سورة الكهف؟

قال تعالى :﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا* حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ الكهف: [٨٣ –٩٧]

فهل ذو القرنين هذا هو اسكندر الأكبر المقدوني، أم هو ملك آخر؟

إني لا أدري من لقب الإسكندر المقدوني بذي القرنين؛ لأن وصفه بذي القرنين لم يرد في كتب المؤرخين الذين عاصروه – مقدونيين كانوا، أو يونانيين، أو أشوريين، أو إيرانيين، أو مصريين، أو يهود، أو غيرهم – ولا في كتب المؤرخين الذين أتوا من بعده يونانيين كانوا، أو فرنسيين، أو إيطاليين، أو إنجليزا، أو ألمانيا، أو روسيا أو ... فالقول بأن الإسكندر المقدوني هو ذو القرنين قول خطأ. ولا أدري كذلك من ذا الذي قال بأن ذا القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم اسمه الإسكندر، أو هو الإسكندر المقدوني.

كل هذا خلط في خلط.

على أن ما أرجحه أنا هو أنه لما غزا الإسكندر المقدوني ديار مصر، ودخل ممفيس، وبويع في معبد فتاح Ptah فرعونًا على مصر البسه الكهنة القلنسوة الفرعونية Pschent (وتنطق بسكنت) وهي القلنسوة التي اعتاد فراعنة مصر أن يضموها على رؤوسهم في الحفلات الدينية الرسمية. وهذه القلنسوة مكونة من تاجين تاج أبيض، وتاج أحمر. فالتاج الأبيض رمز سيادة الفراعنة على الوجه القبلي، والتاج الأحمر رمز سيادتهم على الوجه البحري، وكذلك فعل الكهنة مع الإسكندر لما دخل معبد جوبيتير آمون Jupiter Ammon في واحة سيوه، ونودي به ابن الآله آمون رع.

فلما ظهر الإسكندر أمام الملأ في ممفيس بوصف كونه فرعون مصر، وفي واحة سيوه بوصف كونه ابن الآله آمون، وعلى رأسه تاجان (وكان شكل التاج يشبه علامة الاستفهام الأفرنجية، وهي أشبه شيء بقرن) لقبوه بذي القرنين بمعنى ذي التاجين، انظر إلى الرسم الذي يمثل محراب معبد دندره بقنا .

فالقول بأن ذا القرنين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم هو الإسكندر المقدوني قول خطأ. ووصف الإسكندر المقدوني بذي القرنين خطأ آخر اللهم إلا إذا كان المراد بذي القرنين ذا التاجين.

والبطالسة اقتدوا بملكِ الإسكندر. فكان كل من يستوى منهم على عرش مصر يتوج في ممفيس في معبد فتاح Ptahوفي الحفلات الرسمية الدينية التي كانت تقام أجلالا لأيزيس Isis وسيرابيس Sérapisكان بطليموس يظهر أمام الملأ مرتديا لباس قدماء الفراعنة، وعلى رأسه القلنسوة الفرعونية.

على أنه من باب المزيد في البيان، والتبيين نورد هنا أقوال بعض المجتهدين، والمفسرين:

* * *

كتب إلينا حضرة العالم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد مُحَمَّد شاكر القاضي بمحكمة مصر الشرعية يقول:

حضرة صاحب العزة الأستاذ الجليل عزيز بك خانكي

بعد واجب التحية والسلام: تشرفت بخطابكم في السؤال عن ذي القرنين، ويأجوج، ومأجوج. أما ذو القرنين فإنه اختلف فيه كثيرا بين المؤرخين المتقدمين حتى لقد ظن بعضهم، وشاع عند كثير من العامة أنه الإسكندر المقدوني. بل ورد ذلك في حديث لا أصل له بل هو حديث منكر شاذ. واليقين من الأدلة التاريخية، والعلمية أن الإسكندر ليس ذا القرنين. لأن الإسكندر كان وثنيا، وذو القرنين وصفه في القرآن يدل على أنه كان رجلا مؤمنا صالحا يعبد الله وحده. بل قد يفهم من بعض الآيات أنه كان يوحى إليه. وقد نص على أنه ليس الأسكندر المحققون من العلماء، وفي مقدمتهم شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (ج.١.ص ١١٤) والحافظ العلامة ابن كثير في تفسيره (ج.٥.ص ٣٢٢ – ٣٢٣) من طبعة المنار. والمؤلف نفسه في تاريخه المسمى (البداية والنهاية ج٢ ص ١٠٢ وما بعدها) وقد ذكر أقوالا كثيرة فيه. والراجح عندي أنه (الصعب ابن الحارث الرائشي ذي مزائد بن عمر الهمال ذي مفاح بن عاد ذي شداد بن عامر) إلى آخر نسبه، وهو من ملوك اليمن الأقدمين في عصر ما قبل التاريخ . وقد نص على ذلك العلامة أبو مُحَمَّد عبد الملك ابن هشام صاحب السيرة في كتاب (التيجان) الذي رواه عن وهب بن منبه. وهو مطبوع في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٤٧هـ وأخباره مفصلة في (ص ٨١ وما بعدها) وكذلك نص عليه العلامة المؤرخ الكبير أبو مُحَمَّد الهمداني اليمني المتوفي سنة ٣٣٤هـ في الجزء الثامن من كتابه (الأكليل) الذي طبع في بغداد سنة ١٩٣١ م بعناية أستاذنا العلامة الأب إنستانس الكرملي

البغدادي. وأخباره مفصلة هناك (ص ٢١٧ وما بعدها) وليس هذا الذي اخترته على سبيل الجزم، والقطع بل هو الراجح فقط؛ لأن مدينة اليمن، وآثارها لم تكتشف بعد اكتشافا علميا، ولكن ظواهر التاريخ، وما بقي في أيدينا من أخباره تبعث في رأينا فكرة عن مدنية العرب، والجزيرة أنها منبع المدنيات كلها، وأنها أقدم حضارة ظهرت على البسيطة. وأنها كانت قبل ذلك بلادا عامرة بالجنان، والأنهار ثم عدت عليها عوادي الزمن فأحالتها صحاري، ومجاهل . وأرجح أنا من ذلك أن اللغة العربية أقدم اللغات، وأمها وأن اللغات الشرقية كلها، أو أكثرها إنما هي فروع، أو تحريف عن اللغة العربية. ولو كانت البلاد الإسلامية تنهض نهضة علمية حقيقية لعمرت جزيرة العرب، واكتشفت آثارها، وأظهرت خفايا الكنوز فيها، ولأمكن تحقيق مثل هذه الأبحاث التاريخية تحقيقا علميًا ينفي الخطأ، ويظهر الصواب.

"وأما يأجوج، ومأجوج فإن لم يكن هذا الوصف منطبقا على بلاد الصين فلا أدري شيئا عن تحقيقها. ولعل أستاذنا العلامة الكبير الشيخ عبد الوهاب النجار وكيل جمعية الشبان المسلمين يستطيع أن يفيدكم في هذا الموضوع بأوثق مما أستطيع. والتوفيق من الله.

وأرجو أن تقبلوا مني خالص التحية، والسلام ..." الجمعة ٢٣ رمضان سنة ١٣٥٩ – ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٠

أحمد محمد شاكر القاضي الشرعي

وكتب إلينا حضرة الأستاذ الجليل مُحَمَّد فريد وجدي يقول:

مصر في ١٩٤٠\١٠\٢٣

ضرة صاحب العزة الأصولي الكبير عزيز خانكي بك.

تحية طيبة مباركة. وبعد فقد تشرفت بكتاب منكم تسألون به رأيي في أمري ذي القرنين، ويأجوج ومأجوج. وإني أشكر لعزتكم حسن ظنكم بي. وأجيبكم:

أوافق عزتكم في أن ما ورد بسورة الكهف عن ذي القرنين لا ينطبق أكثره على الأسكندر المقدوني. وأن لا ذكر في التاريخ عن يأجوج، ومأجوج وسدهم. وفي الكتاب الكريم أخبار أخرى غامضة. يصرح القرآن نفسه بغموضها. وينهي عن الخوض فيها، والتنازع عليها كما في هذه الآية: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات (محكمات) هن أم الكتاب. وأخرى (متشابهات) فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله. وما يعلم تأويله إلا الله". آية ٧ في سورة آل عمران.

" أضيفوا إلى هذا أن الاسلام أمر ذويه بالتثبت في القول. وعدم الخلط، والخبط فيما يعلمون، وما لا يعلمون: "يثبت الله الذي آمنوا بالقول الثابت". "ولا تقف ما ليس لك به علم". "وقل رب زدني علما".

"وأمرهم بإقامة سلطان العقل في كل ما يعرض للبحث وجعله مناط التكليف. فلم يجد المسلمون اسم لأنفسهم وأحوط لدينهم من طريق انتهجوه منذ قيامهم إلى جماعة . وهي أن يتناولوا ما يعن لهم من المعارف مستقلة عن الدين. لا مطبقة عليه. ولا مقيدة به. لأنه أطلق لهم وجوب التعلم إطلاقا. ولم يقيد العلم إلا بأن يكون حقا. لا خيالا، ولا ظنا، وأن الظن لا يغني من الحق شيئا. وما كادوا يدونون لهم عامًا للأصول حتى توجوه بهذه القاعدة التي تعتبر من أجل المفاخر في عهد كان الناس قاطبة دائنين لمبدأ الحرفية في الدين ألا، وهي : "إذا تعارض حكم العقل، ونص الكتاب وجب تأويل نص الكتاب حتى ينطبق على حكم العقل" ذلك؛ لأن العقل مناط التكليف في الإسلام كما قدمنا. لا الأقوال المأثورة. ولا الآراء الموروثة.

"لهذا السبب لم يستهول المسلمون في أي عهد من عهودهم ما يجدونه في كتابهم من الأمور التي تحار فيها العقول. وتختلف فيها الأفهام. فكان أسهل شئ عندهم أن يعتبروها من متشابه القرآن. تاركين حلها إلى حين، أو إلى الأبد. ويمضون في اقتباس المعلومات من مصادرها مستفيدين مما هدوا إليه من وسائل التحقيق، والتمحيص. وليس يخفى عليكم أنهم أخذوا جميع ما وقع لهم من كتب العلم، وترجموها، وزادوا مادتها. ولم تحدث فيهم منازعات تذكر من التناقض بين العلم، والدين. الأمر الذي أشعل النار في العالم الغربي أكثر من ألف سنة.

فإن عدتم فسألتموني بعد هذا التفصيل عن حقيقة رأيي في ذي القرنين، ويأجوج، ومأجوج أجبتكم بأني لم أحصل عنهما علما يحسن نشره. وهما في نظري من متشابه القرآن الذي لا يضر المسلم أن يجهله بل أمر أن لا يجعله موضوع نزاع بينه، وبين الناظرين.

وتفضلوا بقبول احترامي الفائق، وشكري الجزيل.

محمد فريد وجدي

روح البيان

وورد في الصحيفة **٦٢٤** من الجزء الثالث من كتاب تفسير القرآن المسمى بروح البيان للأستاذ الشيخ غسماعيل حقي أفندي ما يأتي حرفيا:

(ويسألونك عن ذي القرنين) هم اليهود سألوه على وجه الامتحان عن رجل طواف بلغ شرق الأرض، وغربها، أو سأل قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك إلى ورود الجواب، وهو ذو القرنين الأكبر، واسمه الإسكندر ابن فيلقوس اليوناني ملك الدنيا بأسرها. كما قال مجاهد ملك الأرض أربعة: مؤمنان، وكافران. فالمؤمنان سليمان، وذو القرنين، والكافران نمرود، وبختنصر. وفي مشكاة الأنوار شدَاد بن عاد بدل بختنصر، وكان ذو القرنين بعد نمرود في عهد إبراهيم عليه السلام على ما يأتي، ولكنه عاش طويلا ألفا وستمائة سنة على ما قالوا. وفي تفسير الشيخ، وكان بعد ثمود، وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار

الذي هو من الملك بمنزلة الوزير. قال ابن كثير، والصحيح أنه ما كان نبيًا، ولا ملكا، وإنما كان ملكًا صالحًا عادلا ملك الأقاليم، وقهر أهلها من الملوك، وغيرهم وانقادت له البلاد. مات بمدينة شهر زور بعدما خرج من الظلمة، ودفن فيها. وفي التبيان مدة دوران ذي القرنين في الدنيا خمسمائة. ولما فرغ من بناء السد رجع إلى بيت المقدس، ومات به. وإنما سمي بذي القرنين؛ لأنه بلغ قرني الشمس أي جانبيها مشرقها، ومغربها. كما لقب أردشير واضع النرد بطويل اليدين لنفوذ أمره حيث أراد. وفي القاموس لما دعاهم إلى الله ضربوه على قرنه الأيمن فمات فأحياه الله ثم دعاهم فضربوه على قرنه الأيسر فمات ثم أحياه الله. كما سمي علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذي القرنين لما كان شجتان في قرني رأسه أحداهما من عمرو بن ود، والثانية من ابن ملجم لعنه الله. وفي قصص الأنبياء، وكان قد رأى في منامه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها، وغربها فلما قص رؤياه على قومه سموه به. وقال الأمام السيوطي – رحمه الله – في الأوائل أول من لبس العمامة ذو القرنين وذلك أنه طلع له في رأسه قرنان كالظلفين يتحركان فلبسها من أجل ذلك ثم أنه دخل الحمام، ومعه كاتبه فوضع العمامة، وقال لكاتبه هذا أمر لم يطلع عليه غيرك فإن سمعت به من أحد قتلتك. فخرج الكاتب من الحمام، فأخذه كهيئة الموت فأتى الصحراء فوضع فمه في الأرض ثم نادى: ألا أن للملك قرنين فأنبت الله من كلمته قصبتين فمرَ بهما راع فقطعهما، واتخذهما مزمارا فكان إذا زمر خرج من القصبتين ألا إن للملك قرنين، فانتشر ذلك في المدينة. فقال ذو القرنين: هذا أمر أراد الله أن يبديه. وأما ذو القرنين الثاني، وهو الإسكندر

الرومي الذي يؤرخ بأيامه الروم فكان متأخرًا عن الأول بدهر طويل أكثر من ألفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة. وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف. وهو الذي حارب دارا، وأذل ملوك الفرس، ووطئ أرضهم، وكان كافرا عاش ستا وثلاثين سنة.

فالمراد بذي القرنين في القرآن هو الأول دون الثاني. وقد غلط كثير من العلماء في الفرق بينهما فظنوا أن المذكور في الآية هو الرومي سامحهم الله تعالى.

وذكر العيني في شرحه عن البخاري صحيفة رقم **٢٣٣** جزء **١٥** أن ذا القرنين المذكور في القرآن المذكور في السنة الناس بالإسكندر ليس الإسكندر اليوناني، فإنه مشرك ووزيره أنسطاطانيس –كذا – والإسكندر المؤمن الذي ذكره الله في القرآن اسمه عبدالله ابن الضحاك ابن معد قاله ابن عباس. ونسب هذا القول أيضا إلى علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه– وقيل اسمه مسعد ابن عبدالله، وذكر له نسبا ينتهي إلى سبأ ابن قحطان. وقد جاء في حديث أنه من حمير وأمه رومية، وكان يقال له ابن الفيلسوف لعقله، وقال وهب ابن منبه اسمه الإسكندر.

ثم قال العيني ومن هنا يشارك الإسكندر اليوناني في الاسم. وكثير من الناس يخطئون في هذا، ويزعمون أن الإسكندر المذكور في القرآن هو الإسكندر اليوناني، وهو زعم فاسد. لأن الإسكندر اليوناني الذي بنى الإسكندرية كافر مشرك، وذو القرنين عبد صالح ملك الأرض شرقا، وغربا

حتى ذهب جماعة إلى نبوَته. واختلفوا في الزمن الذي وجد فيه فقيل بعد نوح، وقيل بعد إسحاق، وقبل بين عيسى، ومُحَّد، والأصح أنه كان في أيام الخليل إبراهيم عليه السلام، واجتمع به في الشام، وقيل بمكة وسمي بذي القرنين قيل؛ لأنه بلغ قطري الأرض المشرق، والمغرب. وقيل؛ لأنه ملك فارس، والروم. وقيل كان ذا ضفيرتين من شعر. والعرب تسمى الخصلة من الشعر قرنا. وقيل غير ذلك. انتهى من العيني باختصار

وجاء في صفحة ٩٤ من كتاب (مصر في قيصرية الإسكندر المقدوني) للأستاذ إسماعيل مظهر ما يأتي:

الذي نعرفه أن ذا القرنين الذي ذكر في القرآن الكريم عربي يمني، وليس الإسكندر المقدوني . وأذكر أني اطلعت مرة أن ملكا من ملوك حمير يسمى الصعب، ويلقب بذي القرنين، وذلك في كتاب التيجان لابن هشام، وبرواية وهب بن منبه. ولما كنت غير متحقق من ذلك كتبت للأستاذ "أ . هـ . ر . جب A. H. R. Gibb" كتابا استوضحه فيه هذا الأمر فأجاب حفظه الله بما يأتي:

"أظن الكلمة التي تعنيها في شأن ذي القرنين، والتبع الصعب هو ما كتب الأستاذ "نكلسون Nicholson" في كتاب "تاريخ أدب العرب" ص ١٧ ولا أعرف من ذكر ذلك من مؤلفي العرب غير اليمنيين مثل نشوان بن سعيد الحميري في كتاب "شمس العلوم" وقد قال هذا ما نصه: "الصعب اسم ذي القرنين السيار".

قال لبيد:

لـو كــان حــي بالحيــاة مخلــدا	في الــدهر خلــده أبــو يكســوم
والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا	بالحنــو في حــدث هنــاك مقــيم

"وعن علي بن أبي طالب، وابن عمه عبدالله بن عباد (رضي الله عنهما) أن ذا القرنين السيار هو الصعب بن عبدالله بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر، وقد أوضحت في كتاب "القاف" أن ذا القرنين الذي بنى سد يأجوج، ومأجوج هو تبع الأقرن" أ.هـ.

وقرأنا في كتاب الأستاذ ابن القاسم المدرس بالمعهد الأزهر (في ترجمة الشيخ السبكي) ما يأتي:

(ذو القرنين) كان ملكا عادلا لا نبيا على الصحيح. قال أبو الطفيل: سئل علي ﷺ عن ذي القرنين أكان نبيا، أم ملكا؟ قال: لم يكن نبيا، ولا ملكا، ولكن عبدا أحب الله، وأحبه الله. وناصح الله ،فناصحه الله. أخرجه البغوي، وسفيان بن عيبنة في جامعه بسند صحيح.

قال الحافظ في الفتح. وقد أثنى الله عليه بالعدل. وأنه بلغ المشارق، والمغارب، وملك الأقاليم، وسار في أهلها بالعدالة التامة، والسلطان المؤيد. قال بن عباس: كان ذو القرنين ملكًا صالحًا أثنى الله عليه في كتابه. وكان منصورًا، وكان الخضر وزيره. وذكر الأزرقي، وغيره أنه أسلم على يدي إبراهيم الخليل، وطاف معه الكعبة المكرمة (واختلف في اسمه)،

والصحيح أنه الإسكندر بن فيلبش بن بطريوس. وهو باني الإسكندرية، وسماها باسمه. ولقب بذي القرنين؛ لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها، ومغربها. وقيل لأنه كان له ذؤابتان حسنتان.

وسأل سائل المرحوم توفيق حبيب "الصحافي العجوز" عن ذي القرنين. وها السؤال، والجواب:

كنت أعتقد أن الإسكندر الأكبر المقدوني هو الإسكندر ذو القرنين، ولكنني عثرت في مطالعاتي على ما غيَّر اعتقادي وبدل ظني. وإليك بعض ما دعا إلى حيرتي:

١- يقال أن ذا القرنين ملك من ملوك حمير، وهم من العرب العاربة. وكان ملكًا جبارًا.

٢- أن لفظة "ذو" عربية فليس لها علاقة بذاك العاهل اليوناني.

"سئل ابن عباس" - ﷺ - عن ذي القرنين ممن كان؟ فقال من حمير، وآتاه من كل شيء سببا، فبلغ قرني الشمس، ورأس الأرض، وبنى السد على يأجوج، ومأجوج، وقيل له. فالإسكندر؟ قال: كان رجلا صالحا روميا حكيما، بني على الأرض في أفريقية منارا، وأخذ رومه، وإلى بحر العرب، وأكثر من عمل الآثار، إلخ...

وقال النعمان بن المنذر:

فمن ذا يعاودنا من الناس معشرا كراما فذو القرنين منا، وحاتم

وفيه يقول ابن أبي ذب الخزاعي:

ومن ذا الذي بالخافقين تغربا واصعد في كل البلاد وصوبا
فقرنا لقرن الشمس شرقا، ومغربا وفي روم يأجوج بنى ثم نصبا
وذلك ذو القرنين تفخر حمير بعسكر قيل ليس يحصي فيحسبا

وقال الأمام فخرالدين الرازي في تفسير القرآن الكريم:

"ومما يعترض به على من قال أن الإسكندر هو ذو القرنين أن معلم الإسكندر كان أرسطاطاليس، يأمره يأتمر، وينهيه ينتهي. واعتقاد أرسطاطاليس مشهور. وذو القرنين نبي. فكيف يقتدي نبي بأمر كافر؟ في هذا إشكال".

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان: "إن ذا القرنين كانت أمه آدمية، وأبوه من الملائكة. ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب ﷺ رجلا ينادي رجلا، يا ذا القرنين، قال أفزعتم من السماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة".

وفي ذي القرنين أقاويل كثيرة تثبت أن ذا القرنين ملك من ملوك العرب العاربة. فهل نسلم بهذه الأقوال، والدلائل عليها واضحة، والإثبات بينة بأن الإسكندر، وذا القرنين رجلان؟ أم نصبر إلى أن ينجدنا

أهل البحث، والاضطلاع بمثل هذه المباحث تصحيحا للأخطاء، وإزالة للريب؟

فكان جواب "الصحافي العجوز".

"هذا" شكل قديم للبيع."

فأما أن هناك اثنين يلقبان بذي القرنين، فأمر لا يختلف فيه اثنان.

وإما أن الإسكندر هو غير ذي القرنين، فرأى غير صحيح.

وأما أن الإسكندر شيء، وذا القرنين شيء آخر، فكذلك حديث بعيد عن الصواب.

والملك العربي الذي يشير إليه الكاتب الحائر، هو المنذر الثالث من ملوك العرب (حكم من سنة **٥١٣** إلى سنة **٥٦٣** للميلاد) وكان من أعظم الملوك قوة، وبأسا حارب الرومان غير مرة، وغزا بلادهم، ونال منهم الغنائم، وسبى السبايا وكان حليفا لملك الفرس، ظفر بصحبته بقائد الرومان بليزار. وأراده ذو نواس الحميري على اغتصاب النصارى، فامتنع عن ذلك، وعاش المنذر إلى زمان كسرى أنو شروان، ولقبه معاصروه، ومؤرخوه بذي القرنين.

أما الإسكندر ، فإنه بعد أن فتح مصر، وأنشأ مدينة الإسكندرية الهم أن يزور معبد الإله آمون في واحة سيوة فتلقاه كهانها بالترحيب،

وأكثروا من تمليقه حتى كاد أن ينكر أنه ابن فيلبس المقدوني، ولبس تاجا ذا قرنين على مثال تماثيل آمون. ورسم بهذا الزي على الهياكل، والبرابي، والمسلات.

وربما كانت هذه الدعوى، والرسوم، والصور هي التي دعت بعض مفسري القرآن، وشراحه، وبعض علماء الأدب، والتاريخ العربي إلى توهم أن ذا القرنين نبي، وقول الجاحظ: أن أم الإسكندر آدمية، وأباه آله.

ونظر كتاب العرب إلى موضوع القرنين من الوجهة التاريخية، والأدبية فقال أبو الفرج المالطي:

"ومن جملة ملوك اليونانيين الإسكندر ابن فيليقوس المقدوني، الذي اجمع ملوك الأرض طرأ على الطاعة لسلطانه، وملك ست سنين بعد قتله داريوس، وكان قد ملك قبل ذلك ستا أخرى، وفتح بلادا كثيرة، حتى بلغ ملكه إلى أقصى الهند، وأوائل حدود الصين، وسمي ذا القرنين؛ لبلوغه قرني الشمس، وهما المشرق، والمغرب."

وقال الأب لويس شيخو في شرح "مجاني الأدب":

"وسمى ذو القرنين؛ لبلوغه قرني الشمس، وهما المشرق، والمغرب وقيل سمي بذلك؛ لأنه كان في رأسه شبه قرنين، أو ذو ابتين؛ وقيل لأنه ملك فارس، والروم، والأرجح أنه لقب بذلك لعظم اقتداره، وسطوته؛ لأن

القرنين كناية عن السلطان كما يرى ذلك في الكتب القديمة لاسيما الصحف المقدسة.

هذا ما وصل إليه "علم" الصحافي العجوز، و"العلم" الغزير الفياض عند أستاذنا الشيخ عبدالوهاب النجار. وفوق كل ذي علم عليم، والله أعلم. – راجع عدد الأهرام ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣ "صحافي عجوز"

عن يأجوج، ومأجوج:

في مجلة الثقافة عدد ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٠ بحث بقلم العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي جاء فيه:

(والذي أعرفه أن يأجوج، ومأجوج هم الأسكوتيون، أو الأشكوزيون، أو السقوئيون أي ال Steythes. واسم بلادهم أسكوتية، أو إشكوزية، وسماها الهمداني في كتابه – صفة جزيرة العرب – سفونيا –)

أرأيت هذا الخلاف الكبير بين المفسرين، والمؤرخين. إذ بينما يقول بعضهم أن ذا القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم اسمه الإسكندر، وأنه هو هو الإسكندر المقدوني يقول البعض الآخر – وهم المحققون – أن ذا القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم ليس اسمه الإسكندر، وليس هو الإسكندر المقدوني. وبينما نرى البعض يقول أن ذا القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم هو ملك (بفتح اللام) نرى البعض الآخر يقول أنه ملك

(بكسر اللام). وبينما نرى البعض يقول بأنه نبي مؤمن بالله يقول البعض الآخر بأنه ملك كافر.

ثم نراهم مختلفين أيضا في معرفة من هو "ذلك الغير" (غير الإسكندر المقدوني) فيقول البعض أنه (الصعب ابن الحارث) من ملوك اليمن الأقدمين. ويقول البعض



محراب في معبد دندره .. معابد أسوان، ودندره، وأدفو من أهم آثار البطالسة ..
راجع ذيل صحيفتي ٥٩ و ٦٠

الآخر أنه (عبدالله ابن الضحاك). ويقول البعض الأخير أنه (مسعد ابن عبدالله) ومنهم من قال بأنه (المنذر) من ملوك العرب.

ثم نراهم غير متفقين في صحة اسم الإسكندر المقدوني فيقول بعضهم أنه (ابن فيلقوس اليوناني)، ويقول البعض الآخر أنه (ابن فيلبش بن

بطريوس) وأنه (مؤمن) وأنه عاصر (إبراهيم عليه السلام) وأنه (عاش ١٦٠٠ سنة) وأن (الخضر كان مستشاره، ووزيره) وأنه (كان ملكا صالحا عادلا) وأنه (مات في مدينة شهر زور، ودفن فيها).

ويقول البعض الآخر أنه (أقام في بيت المقدس، ومات به). ومنهم من سمي معلم الإسكندر (أنسطاطانيس) ومنهم من سماه (أرسطاطاليس)، وهو الأصح.

الخُلاصة أن الوارد ذكره في القرآن هو – بالتأكيد – غير الإسكندر المقدوني. أما من هو فالعلم عند الله، وصدق حضرة الأستاذ مُحَمَّد فريد وجدي عندما قال بأن القرآن الكريم فيه آيات (محكمات) وآيات (متشابهات) تعجز أفهامنا عن إدراك كاهنها.

حكم التاريخ

ما حكم التاريخ في الإسكندر الأكبر. هل حياته كانت حسنات، أو كانت سيئات، أو كانت بين بين؟

ذهب المؤرخون في تقدير الإسكندر الأكبر مذاهب شتى. بعضهم رفعه إلى أعلى عليين، وبعضهم ردَه إلى أسفل سافلين، والبعض الأخير قال: أن له حسنات، وله سيئات، وحسناته يذهبن سيئاته. صدق من قال لا يخلو الإنسان من مادح، وقادح، وللناس بعدد رؤوسهم آراء. Autant de têtes, autant d'avis . Tot capita , tot sensus

ولنعدد هنا حسناته، ونعدد سيئاته، ونرو ما قاله المادحون، وما قاله القادحون ثم نترك للقارئ الحكم.

كان لأسكندر معلمان، والمعلمان كانا أبرع رجال العصر الذي نشأ فيه أبوه– فيليب– الذي عدَ في زمانه – وعدَ بحق – أعظم رجال الحرب. ومعلمه أرسطاطاليس الذي عدَ في زمانه – وعدَ بحق – أعظم رجال العلم، والفلسفة.

أبوه فيليب اشتهر بمدارسة الحروب، ومماسة القتال حتى أنه في خلال خمس سنوات انتصر على أعدائه تسع مرات في تسع وقائع. وكان فوق هذا من أعظم رجال السياسة. كان يجمع في قبضة يده زمام السياسة مع

زمام الحرب. أحبط تألب الدول المجاورة التي كانت متحالفة، ومتحفزة لغزو مقدونيا. أحبط تأليها بمناورات سياسية في غاية البراعة استخدم فيها ذهبه، ومكره، ودهاءه، فتمكن من التفريق بين الدول المتحالفة ففشلت فيما نوت، فأنقذ وطنه من أخطار مدلهمة كانت تنذر بأشد الويلات، ولبراعته في الحرب، وفي السياسة بايعه بنو وطنه ملكا عليهم، وكان عمره لا يزيد على ٢٤ سنة.

حارب غربا الألبانيين Illyriens وبسط نفوذه على بلاد أبيروس Epire

وحارب شرقا أهل تراقيا Thrace ثم انتهى بضم أبيروس، وتراقيا إلى مقدونيا.

وحارب شمالا إلى أن وصل إلى نهر الدانوب.

وحارب جنوبًا فغزا جميع البلاد الواقعة على شاطئ البحر، ومنها مدينة ستاجير Stagyre مسقط رأس أرسطو. وبسط سلطانه على تساليا Thessalie فأصبح صاحب الكلمة النافذة على بلاد البلقان من أقصاها شمالا إلى أقصاها جنوبا.

وكان في نيته غزو بيزانطة (القسطنطينية سابقا، وأستانبول الآن) كما كان في نيته طرد الفرس من جميع البلاد اليونانية في أوروبا، وفي آسيا إلا أن المنية عاجلته.

في حياته اشترك "ابنه اسكندر" في فتوحاته، وفي غزواته. وأحرز الإسكندر نصرا كبيرا في واقعة كيرونيه Chéronée التي ذاع فيها صيته في جميع الأمصار، والأقطار.

أهم ما اشتهر به فيليب تنظيم الجيش المقدوني، وتدريبه على أحسن النظم الحربية، وجعله في أرفع مستوى. وهو الذي ابتكر نظام الفيالق الكثيفة المعروفة باسم Phalange وهو النظام الذي أخذه عنه كبار رجال الحرب مثل يوليوس قيصر، ونابليون، وعمل به ابنه الإسكندر حتى قيل أن هذه الفيالق هي التي مهدت لإسكندر سبل انتصاره في جميع حروبه مع الفرس، ومع الهنود، ومع غيرهم. قال المؤرخ الألماني فيلكن:

- Phillppe est le premier créateur de la fameuse phalange macédonienne . " P. 43 Wilken

وقال في صحيفة ١٦:

" C'est son illustre père, Philippe, qui a le plus fortement travaillé pour lui . Alexandre lui doit non seulement l'instrument de ses victoires, l'incomparable armée macédonienne, mais encore la liquidation de la question grecque par la création de la ligue corinthienne et le projet d'une guerre de revanche de toute l'Hellade contre les Perses. " p. 16

ثم زاد فقال:

" sans Philippe , qui est également une grande figure de l'histoire , nous ne pouvons pas concevoir Alexandre. " P.16

وختم بقوله:

" La phalange macédonienne fut l'instrument des victoires d' Alexandre. "

وهذا النظام هو الذي عمل به أيضا فردريك الثاني ملك بروسيا كما عمل به، ويعمل به إلى الآن رجال الحرب في ألمانيا، وفيليب أيضًا هو الذي ابتكر نظام المربعات earré الذي أخذه عنه نابليون، وطبقة في واقعة الأهرام ضد المماليك. كما طبقه مُحَمَّد علي باشا في حروبه مع الوهابيين في جزيرة العرب، وفيليب ابتكر أيضا أساليب حربية عدة في فن حصار المدن، والقلاع.

وفي هذا الصدد يقول فيلكن أيضا:

" Dans l'art des sièges également, Philippe a fait époque. P. 43 "

ولفيليب أيضا فضل ابتكار النظرية التي توجب تحطيم قوة العدو تحطيما تاما بلا شفقة، ولا هوادة.

قال فيلكن:

" En stratégie aussi , Philippe a opéré une révolution, car il fut le premier - à moins qu'on ne doive attribuer cette conception déjà à Epaminondas - à réaliser tout à fait consciemment la stratégie qui vise à la destruction complète de l'adversaire, la stratégie d'écrasement, comme l'appelle l'ouvrage classique de notre général von Clausewitz (De la Guerre) . "P. 43

ولنبوغه في الحرب، وفي السياسة كثر منافسوه، وكثر حساده، وتعرضت حياته للخطر غير مرة.

- أنقذه ابنه الإسكندر من الموت في إحدى الوقائع التي حارب فيها في شمال مقدونيا.

- وفي حصار مدينة أمفيبوليس Amphipolis صوَب أحد أعدائه سهما أصاب عينه اليمنى ففقأها. وقد وجد منقوشًا على السهم الكلمة الآتية: (خذها يا فيليب في عينك اليمنى).

- وكان من أشد أعدائه ديموستين Démosthène خطيب اليونان السلَاق الشهير. وقد خطب ضده خطبا كثيرة حماسية؛ لإذاعة اشتهرت في التاريخ، وفي الأدب باسم فيليبيك Philippiques ولكن فيليب انتصر عليه.

– ونصبته بلاد اليونان قائدًا عاما على جيوشها، وفوضت إليه محاربة الفرس، وطردهم من جميع البلاد اليونانية، ومن جميع المدن، والثغور التي استعمرها مواطنوه الأغريق في آسيا، وفي أفريقيا.

– وعلاوة على نبوغه في الحرب، وفي السياسة كان محبًا للعلوم، والفنون. استدعى إلى بيللا Pella عاصمة ملكه كثيرا من مهرة الصناع، والفنانين الأغريق، وطائفة كبيرة من الفلاسفة، والعلماء، والشعراء ليزبن بهم بيللا.

هذا هو أبو الإسكندر الأكبر. وهو كما ترى عبقري في فن الحرب، وفي السياسة لا يجاريه في زمانه أحد. وقد صدق المؤرخ الألماني فيلكن Wilken عندما وصفه بكلمة جامعة مانعة قال فيها : أن فيليب من أعظم الملوك الذين ذكرهم التاريخ :–

" Philippe nous apparait comme l'un des plus grands souverains de l'histoire . P. 39 . "

أما أرسطاطاليس معلم الإسكندر الأكبر فكان باجماع الآراء من أكبر فلاسفة الدهر قديما، وحديثا.

يقول العرب أن العصا من العصية. ومن شابه أباه فما ظلم. والولد سر أبيه، وحسب فيليب أن يكون أبا الإسكندر.

وحسب الأسكندر أن يكون ابن فيليب. وكما أن أرسطو فاق معلمه أفلاطون كذلك فاق الإسكندر أباه فيليب.

وإذا كان فيليب أنشأ مملكة فالإسكندر أسس إمبراطورية.

وإذا كانت فتوحات فيليب قصرت على أوروبا ففتوحات الإسكندر شملت أوروبا، وآسيا، وإفريقيا. وإذا كان فيليب قد غزا جمهوريات، ودولا صغيرة فالإسكندر غزا عشرات الممالك منها مملكة الفرس، وكانت تعد في ذلك العهد أكبر، وأوسع، وأقوى، وأغنى مملكة في العالم.

وعلى هذا فإذا تجاب الأب، والابن في العبقرية فعبقرية الإسكندر تجب عبقرية فيليب مائة مرة، أو تزيد.

غزوات حربية:

حارب الإسكندر قبل أن يستوي على عرش مقدونيا، وانتصر. – بدأ حياته الحربية، وعمره ١٧ سنة فانتصر في واقعة كيرونيه Chéronée المشهورة، وحارب بعد أن تولى الملك فانتصر. وكانت غزواته، وفتوحاته سلسلة انتصارات في بلاد اليونان، وفي الأناضول، وفي سوريا، وفي فلسطين وفي مصر، وفي العراق، وفي بابل، وفي بلاد فارس، وفي بلاد أفغانستان، وتركستان، وداغستان، وبلوشنان، وفي بخاري، وفي الهند إلى أن وصل إلى المحيط الهادي، ومن غريب أمره أن فتوحاته، وغزواته كانت سلسلة انتصارات قهر فيها أعداءه، وخصومه ولم يقهره أحد. Il portait

كانت حياة اسكندر la victoire là où il portait son épée كلها توفيقات، وقد آتاه الله من كل شيء سببا منذ دب إلى أن شب.

لم تستطع آية قلعة، أو آية مدينة لا ترام أن تصمد أمام قوته القاهرة. فلا صمدت مدينة سرت Sardes الحصينة. ولا صور Tyr الحصينة. ولا غزة Gaza الحصينة. ولا قلعة أرياماز Ariamaze. ولا قلعة خوريين Choriéne. ولا قلعة ماساجا Massaga حتى صح أن يقال فيه ما قيل في المارشال فوبان Vauban أكبر رجال الحرب في عهد لويس الرابع عشر ملك فرنسا:

" Ville investie par Vauban, ville prise ; ville défendue par Vauban, ville imprenable. "

– والإسكندر الأكبر هو الذي ابتدع الحرب الخاطفة، وكان هذا سر فوزه في كل غزواته، وفتوحاته. أضرب لك مثلا واحدا على السرعة الخاطفة التي كانت سر انتصاره على ملوك، وأمراء آسيا. لما شبت الثورة في بلاد بخاري، وحاصر الثوار الحامية المقدونية في سمرقند أرسل الإسكندر قوة كبيرة من جيشه لتشتيت القوة الإيرانية، وفك الحصار عن الحامية.

رفع الحصار مؤقتا، ولكن الإيرانيين عادوا، وهجموا على جنود القوة المقدونية، وأبادوها عن آخرها. ثم ضربوا الحصار مرة ثانية على سمرقند، وأسرع قائد القوة الإيرانية وطلب نجدات من البلاد المجاورة. فلما علم الإسكندر بذلك، وكان مرابطا على نهر سرداريه خف في الحال مسرعا،

وقطع ٢٩٠ كيلو مترا في ثلاثة أيام، وبضع ساعات إلى أن وصل إلى سمرقند. وبمجرد ما علم قائد القوة الإيرانية بقدومه هرب قبل أن يصل إليه المدد، وقبل أن يتهيأ للقتال.

هذه السرعة الهائلة في ضرب العدو قبل أن يستعد كانت دائما سياسة الإسكندر في جميع حروبه مع الإغريق، ومع الفرس، ومع الأفغان، ومع الكرد، ومع الهنود.

ولما أراد القبض على بسوس Bessus (الذي غدر بالملك دارًا، واغتاله) أنفذ بطليموس Ptolémée ليأتي له به حيا، أو ميتا، وبطليموس قطع في أربعة أيام مسيرة عشرة أيام، وتمكن من القبض على بسوس، وأتى به إلى الإسكندر مكبلا بالحديد.

وقد أخذ عنه هذا الضرب من فنون الحرب مشاهير قواد الرومان مثل يوليوس قصير Jules césar وبومبيه Pompée وأنطوان Antoine وأوكتاف Octave. كما أخذه عنه، وعنهم فريدريك الثاني Fréderic II ملك بروسيا وتورين Turenne وكونديه Condé من مشاهير رجال الحرب في فرنسا، وأخذه عنهم جميعا نابليون بونابرت Napoléon وفي هذا الصدد يقول أحد حكام البلاد التي غزاها بونابرت في إيطاليا وصفًا لسرعة زحف جنوده (الفرنسيون لا يمشون مشيا بل يركضون ركضا "les français ne marchent pas , ils courent"

") ومن يطالع تاريخ نابليون يجده كان مغرما بمطالعة الكتب التي وضعت في حياة الإسكندر الأكبر.

وهذا الضرب من الحرب هو الذي حبذه، واستعمله قواد الحرب في ألمانيا، وسموه الحرب الصاعقة Blitz Krieg

انتصر الإسكندر في جميع غزواته :

– على الرغم من أنه غاب عن وطنه – مقدونيا – عشر سنوات كاملة. جاس في خلالها بلادا واسعة في أوروبا، وفي إفريقيا، وفي آسيا، وقطع زهاء ٢٤,٠٠٠ كيلو متر. واجتاز سهولا فسيحة، وأودية عميقة، وجبالا شامخة، وفيافي، وفلاة جرداء لا زاد فيها، ولا ماء، ولا دار، ولا ديار. مثل صحاري ليبيا بين مرسى مطروح، وسيوة . وبين سيوة، وممفيس، ويبلغ طولها ٦٠٠ كيلو متر، وزيادة . ومثل فيافي بلوشستان التي اضطر فيها هو، وجنوده إلى ذبح الخيول، والبغال، وأكلها.

وكثيرا ما بات هو وجنده على الطوى. وباتوا في الفلوات بين ريح صر، وليل قرَ، ومرض قتال، ومطر هطال. إذ نزل عليه، وعلى جنوده في الهند مطر لا يغضغض استمر ٧٠ يوما.

– ومع أن عمره لم يطل أكثر من ٣٣ سنة، ومدة حكمه لم تزد على ١٤ سنة. منها عشر سنوات أسس فيها أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ لا

تغيب عنها الشمس تمتد من الهند، وأفغانستان شرقًا إلى مقدونيا، وصحاري ليبيا غربا.

ومن مصب نهر الدانوب شمالًا إلى مصب نهر النيل جنوبا. وكان هو بنفسه يدير دفة سفينة هذه الإمبراطورية الواسعة. ولا يدري إلا الله ماذا تكون سعة هذه الإمبراطورية لو عمَّر الإسكندر عشر سنوات أخرى.

– ولم يقتد بغيره من الملوك الذين كانوا ينزوون في عقر دارهم، وينفذون قوادهم ليتولوا قيادة الجيوش.

بل تولى هو نفسه قيادة جيوشه، وحارب بنفسه كنفر بسيط. وكثيرا ما ألقى بنفسه في ساحة الوغي، وعرَّض نفسه للخطر، والموت.

ألم يلتحم بمتريدات Mithridate– صهر دارا، وأحد قواده – في واقعة الجرانيك؟ إذ ترجل متريدات، وهجم على الإسكندرP ليقتله فأسرع الإسكندر، وضربه بسيفه ضربة ألقته على الأرض صريعا. ولما رأى أخو متريدات ما حل بأخيه صال على الإسكندر، وضربه ببلطة أصابت خوذته، وشطرتها شطرين، فتلقى الإسكندر الضربة بقلب جرئ ثم صال على الرجل، وطعنه طعنة نجلاء خَرَّ منها ميتا.

ولما رأى أمير ليديا – من أتباع دارا – ما حلَّ بزميليه رفع سيفه ليضرب الإسكندر إلا أن كليتوس الأسود – أحد ضباط اسكندر – أسرع، وضرب أمير ليديا ضربة أطارت عظامه فضاضا. وكاد الإسكندر

يلاقي حتفه أيضا أمام مدينة غزة عندما همَ أعرابي من أتباع باتيس Battis بطعن الإسكندر بسكين فانثنى الإسكندر، وانحنى، وطاشت طعنة الأعرابي ثم أسرع الإسكندر، وطعن الأعرابي طعنة ألقته على الأرض قتيلا. ولم يكد الإسكندر ينجو من طعنة الأعرابي حتى أصابه في كتفه شواظ من نار جرحه جرحا بليغا. وفي واقعة أربل تولى الإسكندر قيادة الفيلق الذي صوَبه نحو دارًا فلما رآه دارا فرَّ من الميدان، وترك جنوده أشتاتا، وفي إحدى الوقائع التي قاتل فيها الإسكندر ملوك الهند كاد يلقي منيته إذ أراد أن يبث الحماسة في روح جنده فتسلق سلما، وصعد على جدار حصن ثم نادى جنده قائلا هلموا إليَّ ثم ألقى بنفسه في داخل الحصن. فلما رآه الهنود عرفوا من لباسه أنه الاسكندر فانهالوا عليه ضربًا، وطعنًا، وأصابته طعنة في صدره فخر على الأرض بلا حراك. فلما رآه جنده قد سقط دبت فيهم روح الحماسة، والانتقام، فنزلوا، وهجموا على الهنود، وأعملوا فيهم السيف، والنار إلى أن أفنوهم على بكرة أبيهم ثم حملوا الإسكندر، وأخرجوا الرمح من صدره، وعالجوه إلى أن شفي. وفي مناوشات عنيفة في بلاد الهند أنقذه بطليموس من الموت عندما خاطر الإسكندر بنفسه لمنازلة الهنود.

ولبراعته في الفنون الحربية انتخبته بلاد اليونان قائدا عاما على الجيوش كلها خلفا لأبيه فيليب.

هذه شواهد على أن الإسكندر كان يشترك في القتال بنفسه اشتراكًا فعليًا قواده، ومع جنوده،

فكان بعقله يضع الخطط الاستراتيجية، والتكتيكية بصفته للقائد الأعلى، وبجسمه يشترك في القتال، والنزال مثل أصغر نفر في الجيش.

فتوحات علمية :

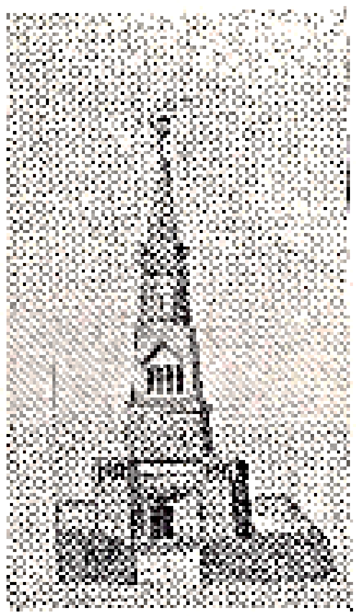
وقد طبع الإسكندر غزواته الحربية بطابع علمي. إذ أن أرسطاطاليس لبث يعلمه ويربيه ثلاث سنوات كاملة فلقنه الأدب اليوناني، وعلمه الفلسفة، والتاريخ، ومبادئ الطب فحفظ الإسكندر كثيرا من الشعر اليوناني، ولاسيما الإلياذة المشهورة. ولما أشرب حب الأدب، والعلم، والفلسفة، والطب اتسع أفق تفكيره، وزاد حبه للاستطلاع، والاستكشاف.

– لذا تراه قبل محاربة الفرس قد عكف على درس تاريخ الفرس، وآدابهم، وعلومهم، وطباعهم، وأخلاقهم، ودياناتهم، وجغرافية بلادهم، وكان كلما قابل سفيرا، أو رسولا، أو سائحا من الفرس يستدرجه إلى التحدث إليه عن بلاد فارس، وعن نظمها السياسية، والإدارية، والمالية، والحربية. وبهذه الوسيلة عرف كل ما يهم قائد حربي أن يعرفه عن البلاد التي ينوي غزوها.

– وتراه أيضا قد ضم إلى الجيش الذي أعده لغزو بلاد الفرس، ولفتح البلاد الأخرى جمهرة من الفلاسفة، ومن العلماء ومن المؤرخين، ومن الشعراء، ومن المهندسين، ومن الفنانين، ومن الصناع لدرس البلاد التي نوي غزوها، وفتحها، ودرس طبيعة أراضيها، وسهولها، وجبالها،

وأنهارها، وأستكشاف أحوالها الزراعية، والتجارية، والاقتصادية، والصناعية، والعلمية. وناط باثنين من المؤرخين تدوين تاريخ حروبه، وغزواته. وقد اقتدى به بعد ٢,١٠٠ سنة نابليون بونابرت عندما غزا مصر في يوليه سنة ١٧٩٨

– استخدم هؤلاء المهندسين، والفنانين في تأسيس الإسكندرية مصر. كما استخدمهم في تأسيس مدن كثيرة أخرى في أوروبا، وفي إفريقيا، وآسيا سماها كلها باسمه.



فنار الإسكندر

نقلا عن مدالية صنعت في عهد بطليموس الثاني، والفنار من صنع "سوسترات Sostrate" المهندس المعماري

وروي المؤرخ ليبانيوس Libanius أن الأسكندر هو الذي وضع أسس مدينة أنطاكية.

– وقد أحصى أحد المؤرخين عدد المدن التي أسسها الإسكندر، وسماها باسمه فوجدها ٢٠ مدينة في أوروبا، وفي آسيا، وفي إفريقيا. وكانت آية آياته إسكندرية مصر التي تبوأت في عهد بطليموس الأول، وبطليموس الثاني، وبطليموس الثالث المقام الأول بين مدن الشرق، والغرب، وكانت مثابة العلوم، والفنون، والآداب، ومركز التجارة، والصناعة في العالم.

وأخته Tessalonice أسست مدينة على البحر سمتها باسمها Tessalonique وهي "سالونيك". وبعدما انتزعها اليونان من الترك ردوا إليها اسمها الأصلي تسالونيكا.

– وأرسل بعثة علمية إلى بلاد السودان لكشف منابع النيل، ودرس أسباب فيضانه، وتحاريقه. سافرت البعثة، وعادت وأخبرت بأن سبب فيضان النيل هطول أمطار غزيرة في بلاد الحبشة. وكان الأغريق، وغيرهم يجهلون سر هذه الظاهرة الطبيعية.

– واستعان بهم أيضا لتخطيط، وحفر ترعة الإسكندرية؛ ليوصل إليها الماء من النيل.

– واستخدمهم لتشييد، وتعمير، وترميم مدن كثيرة في بلاد الأناضول، وفي سوريا، وفي فلسطين، وفي مصر، وفي فارس، وفي بابل، وفي

بلاد الهند. واستخدم في هذه الأعمال الأساري، والسبايا؛ لأن الإسكندر كان بناء بسليقته.

– وانتهز فرصة وجوده في البلاد الواقعة على مقربة من بحر قزوين (بحر الخزر)، وأرسل بعثة عسكرية علمية لدرس طبيعة بحر قزوين، وطبيعة الأراضي المحيطة به ليتحقق إن كان هذا البحر متصلا بالمحيط، أو هو بحر قائم بنفسه في وسط البلاد المحيطة به.

– واتخذ غزو الهند ذريعة لدرس جغرافية هذه البلاد ودرس نباتاتها، وحيواناتها ودياناتها، وعاداتها، وكل ما يهم العلم معرفته عنها.

– وجرَّد تجريدة علمية عسكرية أخرى لتحقيق مجرى نهر السند، وتخطيط هذه البلاد النائية. وسار هو بأسطوله، ومعه ٩,٠٠٠ مقاتل فاجتاز نهر السند إلى أن وصل إلى المحيط الهندي. وفي رحلته هذه رأى لأول مرة ظاهرة المد، والجزر. ووفق العلماء الذين استصحبهم معه إلى درس طبيعة أراضي هذه البلاد، وكشف ما فيها من معادن – ذهب وفضة وملح، ونباتات، وحيوانات.

– وناط بالأميرال نيارك استكشاف شواطئ الهند، وما يليها من البلاد غربا فطاف نيارك بأسطوله سواحل الخليج الفارس ووصل إلى مصب نهر الفرات.

– وأرسل بعثة بحرية علمية أولى وصلت إلى جزائر البحرين في الخليج الفارسي، ولكنها لم تحقق آماله. فأرسل بعثة ثانية وصلت إلى جزائر البحرين أيضا، وعادت مثل الرحلة السابقة دون أن تحقق آماله. فأرسل بعثة ثالثة أمرها بأن تسير إلى مدينة السويس، ولكنها لم تصل إلى نصف الطريق. ثم أرسل بعثة رابعة وصلت إلى باب المندب ثم نفد ماؤها فعادت.

– كان غرض الإسكندر وصل المشرق بالمغرب بطرق مواصلات برية، وبحرية.

فأسس مدينة على مصب نهر الدجلة سماها الإسكندرية جعلها فرضة بحرية (لعلها شط العرب الآن). وأسس مدينة أخرى أيضا على ساحل بلاد العرب سماها باسمه رحل إليها كثيرا من الإغريق.

– وكان قصد الإسكندر مزج الشرقيين بالغربيين لجعلهم أمة واحدة. نشر الثقافة الإغريقية في جميع البلاد التي غزاها. فنقل الفرس، وغير الفرس كثيرا من علوم الإغريق، ومن فلسفتهم، ومن أدبهم، ومن فنونهم. ومن بلاد الفرس سرت الثقافة الإغريقية إلى بلاد الصين، وإلى الأفغان، والهنود، والعرب. إذ نقل العرب عن الإغريق كثيرا من العلوم، ولا سيما الفلسفة، والطب، والهندسة، وفن المعمار. ويرجع الفضل الأكبر في نشر الثقافة الإغريقية إلى فيلسوفين كبيرين ابن سينا وابن رشد (وابن رشد وضع كتابا قيما على أرسطو، وفلسفته) وعندما دخل العرب الإسكندر مصر وجدوا فيها معاهد، ومدارس عليها الطابع الإغريقي تدرس فيها علوم

الإغريق، وفلسفة الإغريق. وقد دلت أبحاث العلامة الألماني ارنست هرزفلد Ernst Herzfeld على أن الفن الإسلامي مشتق من الفن الإغريقي ومن الفن البيزنطي، ومن الفن الساساني. وفي هذا يقول العالم الألماني بيكر C . H . Becker

" sans Alexander le Grand , pas de civilisation islamique "

ولمزج الشرقيين بالغربيين، وجعلهم أمة واحدة.

لم يقتصر الإسكندر على نشر الثقافة الإغريقية في جميع البلاد التي غزاها بل سك لها أيضا عملة واحدة سماها باسمه بقيت طول حياة الإسكندر العملة الوحيدة الرسمية التي يعول عليها في المعاملات. وشوق المقدونيين، واليونايين من الزواج بإيرانيات. فبدأ هو، وتزوج من روكسان بنت الأمير أوكسيارت ثم تزوج من ستاتيرا بنت الملك دارا وزوج صديقة هفستيون بأختها. وفي ليلة واحدة زوج ثمانين من قواده بثمانين أميرة من أميرات الفرس. وكل جندي مقدوني تزوج من فارسية أتحفه بتحفة مالية عظيمة فتهافت الجند على الزواج. ويقال أن عشرة آلاف جندي تزوجوا من إيرانيا في الفترة التي أقامها الإسكندر وجيشه في سوس. ثم سرت هذه الروج في برسبوليس، وصور، وهمذان فتزوج آلاف من الأغارقة من بنات الفرس.

وكان في نيته تجهيز حملة كبيرة لغزو بلاد العرب. كما كان نيته بناء ١,٠٠٠ سفينة تطوف حول إفريقيا، وتمر من جبل طارق ثم تغزو أسبانيا، وقرطاجة، وإيطاليا، ولكن المنية عاجلته. ولتحقيق غرضه هذا أمر بجلب الأخشاب، والحديد والحبال، والأشرعة اللازمة؛ لبناء هذا العدد الهائل من السفن من لبنان، ومن كليكيا، ومن قبرص. وبنى لهذا الغرض ترسانة هائلة بابل.

– وعلى الرغم من كل هذه الشواغل فإنه كان يوجه همه أيضا إلى سن النظامات السياسية، والإدارية، والمالية في البلاد التي غزاها.

– ورد إلى بلاد اليونان جميع التحف، والآثار التي سلبها الفرس عندما غزوا بلاد اليوان في عهد دار الأول، وكزركسيس وأرتا كزركسيس، وقمبيز، ودارا الثالث.

– وعلى الرغم من بلوغ الإسكندر أوج المجد، وبلوغه كل الحول، والطول، والسلطانن فإنه كان عفيف الطرف. وقعت في أره أجمل نساء الفرس، والإغريق فلم يتطلع إلى واحدة منهن، ولم يلامسها. وكانت منهن ذوات اللواحظ، والقدود الفائنات الفاتكات الساحرات الناحرات. ألم تقع في أسره زوجة دارا، وبنتاه فعاملهن معاملة الملوك. ألم يأسر قائده بارمنيون في دمش كثيرا من أشراف الفرس بنساءهم، وبناتهم؟ وكان من بين الأسرى بنات أوخس Ochos (ملك الفرس) وأمهن. وبنت أوكستريس (أخودارا). وزوجة أرتاباز Artabaze وابنه. وزوجة فلرناباز

Pharnabaze وبنات مانتور Mentor الثلاثة. وزوجة ممنون Memnon وابنه. وبنت من مدينة Pydne اسمها أنتيجون Antigone عدوها فتنة الدنيا بجمالها.

ومع ذلك لم يراود واحدة منهن عن نفسها، واكتفى بتزويج أنتيجون الجميلة من فليوتاوس Philotas ابن بارمنيون.

– وكان الإسكندر يضع السيف في موضع السيف، والندى في موضع الندى. كان يجازي الإحسان بضعفه، والإساءة بصفحه. ألم يأسر بارمنيون في دمشق نواب مدن اليونان التي كانت حالفت دارا ضده فلم يمسهم بسوء، وخلى سبيل نائبي طيبه Thèbes كما أطلق سراح نائب اثينا Athène .

ولما أسر في واقعة الجرنيك الفين من اليونانيين الذين جندهم دارا من المدن اليونانية التي كانت خاضعة له لم يقتلهم حسب أصول الحرب بل أرسلهم إلى مقدونيا لتشغيلهم في مناجم الذهب. ولما حارب أحد ملوك الهند بوروس porus وأسره أراد أن يظهر له أعجابه بشجاعته، وفروسيته، فسأله كيف تريد أن أعاملك فأجابه الملك الهندي أريد أن أعامل معاملة الملوك فعامله الإسكندر معاملة الملوك، وأكرمه إكراما عظيمًا، واستماله إليه، وبعد إن كان بوروس هذا عدوا لدودا للإسكندر انقلب، وصار نصيرا له، وحليفًا. ولما مثلت أمامه أخت الجنرال تياجين متهمة بقتل أحد ضباطه سألها الإسكندر من أنت؟ أجابته: بكل جرأة أنا

أخت تياجين الذي قاتل أباك في سبيل حرية بلاد اليونان، وقاتلك أنت أيضا في واقعة كيرونية، وفيها قتل. فإعجابًا بشجاعتها، وتقديرا لصراحتها عفا عنها وردَّ إليها أموالها وأولادها. وهذا يسير من كثير.

– ويمتاز الإسكندر عن كثير من الملوك بزهده في المال. كل همه كان موجها إلى الجاه، والسلطان. قبل محاربة الفرس وزع ثروته على ضباطه، وجنوده. ووزع مال أمه على ضابطه، وجنده. ووزع الأسلاب، والغنائم على ضابطه، وجنده عرض عليه دارا لافتداء أمه، وزوجته، وأولاده ذهبا بمقدار ما تحويه خزائن مقدونيا كلها فرفض، وقال لدارا أني لا أطمع في مالك. كل ما أبتغيه، وأسعى إليه إنما بسط سلطاني على آسيا كلها.

– ولما عرض عليه دارا الصلح على أن يتنازل له عن نصف الإمبراطورية الفارسية – أي جميع البلاد الواقعة غرب الفرات – وأن يزوجه من بنته، وأن يدفع له مبلغا كبيرا من المال أفهم الإسكندر أم دارا، وزوجة دارا، وبنتي دارا بأنه لا يضمر لشخص دارا عداء ما. نعم أنه قاتله، ولكنه قاتله لا ليستولي على ماله، ولا على نسائه، ولا على بناته، ولا على بعض بلاده بل كل ما أراده، ويريده إنما بسط سلطانه على آسيا كلها، وشفع جوابه هذا بقوله " كما أن الأرض لا تحتمل شمسين كذلك لا تحتمل ملكين ."

– ولم تليه فتوحاته، وغزواته عن التفكير في الأعمال ذات المنفعة العامة. سياسية كانت، أو علمية، أو أدبية، أو زراعية، أو تجارية.

وكان له في كل ناحية منها جولة، وفي كل ميدان صولة. وكان ينقذها بإرادة جبارة. إرادة رجل سيف لا إرادة رجل قلم.

فكان يعمل عمل سنة في شهر، وعمل شهر في يوم، وعمل يوم في لحظة. منها أنه سك القناطير المقنطرة من الذهب، والفضة التي غنمها من الفرس، وحولها إلى عملة ذهبية، وفضية نثرها نثرا في أسواق بلاد آسيا فراجت التجارة، والصناعة رواجا كبيرا لم يسبق لهذه البلاد عهد بمثلها. ومنها إنه نفذ مشروعات ري كثيرة في بلاد فارس، وبابل، والعراق، وآسيا الصغرى فأحيا أراضي مواتا واسعة، فزادت الحاصلات، وعم الرخاء. وكشف مناجم كثيرة في البلاد التي غزاها، واستخرج منها ثروة معدنية كبيرة فازدهرت الصناعة. وبعد ما استولى على أفغانستان، وتركستان اشترى أجود الثيران، والأصناف الأصيلة وأرسلها إلى مقدونيا؛ لتربيتها، والانتفاع بنتاجها. وجلب الأشجار، والنباتات، والأزهار من أوروبا، وغرسها في بلاد آسيا، ولاسيما في بابل. ولعلمه بأن الدهر ميل عقد محالفات سياسية، وتجارية، ومعاهدات ود، وصداقة مع ملوك، وأمراء البلاد المجاورة ليضمن سلامة إمبراطوريته إذا ما انتقل يوما ما من النوم الأصغر إلى النوم الأكبر، وفجأت ابنه الصغير نبوة الزمان، واختار ستة من مدن مقدونيا، ومن مدن بلاد اليونان؛ ليشيد فيها معابد، وهياكل غاية في الأبهة، والعظمة خصص لكل واحد منها ما يعادل ٣٦٠,٠٠٠ من جنيهات اليوم لتبقى شاهدة على عظمة إمبراطوريته مامرت الدهور، والأعوام.

– كان الإسكندر محل إعجاب جميع القياصرة، والملوك. والكبار منهم اتخذوه المثل الأعلى في حروبهم، وفي سياستهم.

١– فيوليوس قيصر Jules César الذي عدَّه المؤرخين بحق من أكبر رجال الحرب في الزمن القديم، والذي رفع الإمبراطورية الرومانية إلى ذروة المجد، والسلطان، ودانت له أوروبا، وإفريقيا، وآسيا كان يطالع حياة الإسكندر في أوقات فراغه. رأوه ذات يوم يبكي، وفي يده كتاب في حياة الإسكندر. سئل في ذلك فقال "أليس من المؤلم حقا أن لا أكون عملت حتى الآن شيئا يذكر مع أن الإسكندر كان غزا ممالك كثيرة في السن التي أنا فيها الآن".

– وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الألماني فيلكن (صفحة ٢٧٨)

" Dés sa prime jennesse César avait été un ardent admirateur d'Alexandre . Si profondément différentes que fussent ces deux natures géniales , et bien que le dictateur , d'âge déjà mûr , manquât de cet élan juvénile avec lequel Alexandre s'était lancé à la conquête du monde , leurs ultimes projets coincidaient pourtant de façon extraordinaire . "

وبهذا المعنى ما قاله المؤرخ الفرنساوي راديه Radet

" ... Alexandre , César deux figures qui se répondent sur les plus hauts sommets de l'histoire , deux incarnations différentes d'un principe identique .

“ Alexandre , César , deux volontés formidables , dont la disparition brusque change la face du monde.

“ par le génie militaire , comme par l’intelligence politique , Alexandre et César sont des grandeurs de même ordre .. (V. Radet . P. 416 .)

٢ – والإمبراطور الروماني الكبير تراجان Trajan الذي عاش في أوائل القرن الثاني من الميلاد، وكان اسمه يزلزل الشعوب كان هو أيضا من المعجبين بالإسكندر الأكبر. اقتدى به في حروبه، وفي سياسته. غزا البلاد الواقعة على نهر الرين Rhin والبلاد الواقعة على نهر الدوانوب Danube والبلاد الواقعة على بحر الخزر mer Caspienne.

وضم بلاد أرمينيا إلى مملكته، وأخضع بلاد القوقاز، وألبانيا، وجزءا من بلاد العرب، واجتاز نهري الدجلة، والفرات، وغزا البلاد الواقعة ما بين النهرين، وزحف إلى أن دخل مدينة بابل، واستولى على المدائن، وسوس، وضم بلاد الآشوريين إلى مملكته. وكانت ديار مصر، وبرقة، وجزيرة قبرص من الولايات التابعة لإمبراطوريته.

ثم أنشأ أسطولا في نهر الدجلة واصل السير به إلى الخليج العجمي، وهنا وقف، وقال: آه لو كنت شابا مثل الإسكندر لكنت غزوت بلاد الهند.

وها ما قاله المؤرخ الفرنسي راديه Radet في هذا الصدد:

" Pour voir renaitre , dans leur magnifique plénitude , les traits et les projets d'Alexandre , il faut arriver â Trajan . Trajan , du Nil au Tigre , marche sar les traces du Macédonien . En Egypte , de même que celui dont il rêve d'être l'émule interrogeait Ammon , il consulte , à Médamoud , le taureau sacré , interprète du dieu Montou , et ce dieu , renouvelant les promesses de l'oracle libyen , dit à l'empereur :

" Je te donne tous les héritage de la terre , j'élargis ton domaine jusqu'au ciel . "

" Vainqeur des Parthes , Trajan gagne Babylone et sacrifie aux mânes du vainqueur des Perses dans le palais où celui-ci a expire . Sur les rives du golfe Persique , il aperçoit un navire qui , pregnant la voie jadis explorée par Néarque , cingle vers l'Inde . Il s' écrie :

" Que ne suis-je plus jeune ? J'assignerais pour limites à Rome les frontières de l'Empire d' Alexandre."

٣ – والإمبراطور الروماني كارا كللا Caracalla كان من أشد المعجبين بالإسكندر.



المؤرخ "بلوتارك Plutarque"

اتخذه قدوة في جميع أعماله، ومن فرط أعجابه به أمر بنشر صورته، وبإقامة تماثيل له في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

٤ – والسلطان مُحَمَّد الثاني "الفاتح" الذي استولى على القسطنطينية في سنة **١٤٥٣** كان هو الآخر من المعجبين بالإسكندر، وقد اتخذ الإسكندر، ويوليوس قيصر قدوة له في غزواته، وسياسته.

٥ – ومثلهم هنري الرابع من أعاظم ملوك فرنسا. كان دائما يطالع كتاب بلوتارك "تراجم مشاهير الرجال" وفي مقدمتهم الإسكندر الأكبر، وكتاب بلوتارك الذي يطالعه كبار الملوك، ويذكره دائما كبار الكتاب،

وكبار المؤرخين في أحاديثهم، وفي كتبهم هو كتاب ألفه المؤرخ اليوناني بلوتارك Plutarque الذي ولد في مدينة كيرونية في القرن الأول من ميلاد المسيح بين سنتي ٤٥ و ٥٠ من الميلاد، ومات في سنة ١٢٥ – ومدينة كيرونية هذه – مسقط رأسه – هي المدينة التي انتصر فيها الإسكندر في بداية حياته. وقد ساح بلوتارك في بلاد اليونان، وفي إيطاليا، وفي آسيا، وفي مصر، وكان معلم الإمبراطور أدريان لما كان شابا. وقد ألف كتابه المشهور "تراجم مشاهير الرجال":

" Les Vies des Hommes illustres "

وكان الفيلسوف روسو Rousseau . J . J يقرأ هذا الكتاب كلما خلا لنفسه، وأطلق لفكره العنان في أحوال هذه الدنيا: وروسو هذا كتاب فرنسي من أشهر كتاب فرنسا بل من أشهر كتاب العالم ولد في مدينة جنيف Génève في أوائل القرن الثامن عشر وهوند فولتير Voltaire المشهور. وينسب إلى آرائه، وفلسفته، وآراء، وفلسفة فولتير الأثر البالغ في الثورة الفرنسية التي شبت في أواخر القرن الثامن عشر.

ومن مأثور قوله "أن كتاب بلوتارك كان أول كتاب قرأته في حداثة سنيَ، ولعله يكون آخر كتاب أقرأه في شيخوختي. لأنه هو الكتاب الوحيد الذي ما قرأته مرة إلا استفدت منه فائدة":

٦ – ونابليون الذي عنت لكلمته الجباه، ودان له العالم فترة من الزمان كان يذكر دائما الإسكندر كلما خطر بباله فتح أوغزو، أو عمل

خطير. اعتبر المؤرخ الإسكندر أستاذ رجال الحرب أجمعين في العصور الغابرة فكان من الطبيعي أن يجعل نابليون حياة الإسكندر قدوة له هو أيضا. ومن يطالع تاريخ نابليون يجده كان مغرما بمطالعة الكتب التي وضعت في حياة الإسكندر الأكبر وفي حياة يوليوس قيصر Jules César وفي حياة أنيبال Annibal وفي حياة فردريك الأكبر Frédéric II وفي حياة سيبيون الإفريقي Scipion l'Africain.

ومن فرط إعجابه بهم نصب تمثال فردريك الأكبر على مكتبه في باريس، وتمثال يوليوس قيصر على مكتب آخر في غرفة أخرى. وتمثال أنيبال، وسيبيون على مكتبه في قصر سان كلو st.Cloud. ولما دخل برتين في سنة ١٨٠٤ سار إلى بوتدام وزار قصر سان سوسي Sans Souciوهو قصر فردريك الأكبر، فأخذ سفيه، وقال: "هذا عندي أعز من تاج بروسيا " كما أخذ "المنبه": وهو عبارة عن ساعة من الفضة الخالصة، وبقى محتفظا به طوال ال٢,٠٠٠ يوم التي قضاها منفيا في جزيرة سان هيلانة على بعد ٢,٠٠٠ ميل من أوروبا.

وكان يطالع في وقت الفراغ كتاب بلوتارك Plutarque وفيه أوفى وصف لعبقرية الإسكندر العسكرية كما كان يطالع طائفة كبيرة من كتب تاريخ قدماء الرومان.

وفي جميع أحاديثه كان يتمثل بالإسكندر الأكبر، ألم يفكر في غزو بلاد الهند كما غزاها الإسكندر من قبل. وفكر في غزوها من موسكو. ولما

قيل له أن روسيا بعيدة جدا عن الهند قال أن الإسكندر جاء إليها من مقدونيا، وهي أبعد من روسيا:

" Après tout cette longue route est la route de l'Inde . Alexandre était parti d'aussi loin que Moscou pour atteindre le Gange . "

أليس هو القائل "لولا عكا، وفشل حصارها لكنت انتصرت في واقعة كواقعة أسوس Issus وكنت نصبت نفسي إمبراطورا على الشرق كله" وكان يفكر دائمًا في غزو آسيا الصغرى، وإيران، وأفغانستان ليمد سلطانه إلى الهند ثم ينصب نفسه إمبراطورا على الشرق الأدنى، والشرق الأقصى كما فعل الإسكندر الذي لقب نفسه "ملك آسيا" بعد أن تم له قهر الفرس. في معركة "أربل".

٧ – ومُحَمَّد علي باشا هو أيضا من أشد المعجبين بالإسكندر. روي المؤرخان الفرنسيان كادالفين cadalvène وبروفري Breuvery اللذان عاصراه، وعرفاه، وخالطاه أن مُحَمَّد علي باشا سمع بتأليف كتاب في حياة الإسكندر طبع، ونشر في فرنسا فأمر بإحضاره.

فلما عرض عليه الكتاب سأل عن الزمن اللازم لترجمته فأجاب لنترجم "تستغرق الترجمة ستة شهور" فقال مُحَمَّد علي باشا هذا زمن طويل ثم استل سيفا من أحد القواصة، وشطر الكتاب ثلاثا، وقال "الآن يجب أن تتم الترجمة في شهرين" ثم التفت إلى الحاضرين، واستأنف الكلام على الإسكندر، وقال "قيل لي أن الإسكندر، وبطليموس من مقدونيا، وأنا

أيضًا من مقدونيا. أن مقدونيا أنجبت ثلاثة تولوا حكم مصر. إلا أن سلطاني على هذه البلاد أوسع مدى".

ولما انتهى الحديث عن الإسكندر، وعن مقدونيا استأذناه في السفر إلى بلاد النوبة، فأذن لهما، وودعهما قائلا: "لكما أن تسافرا في جميع أرجاء مصر بكل اطمئنان. ستجدان أينما حللتما كل مساعدة، وحماية ."

وقد لخص الفيلسوف الفرنسي تيودور جوفروا Th. Jouffroyحياة الإسكندر في صفحة جمعت بين الإيجار والإعجاز فقال:

" Après la guerre médique , l'expédition d'Alexandre est le plus grand événement dont l'histiore ait le sonvenir . le guerre médique avait sauvé la civilisation au berceau ; l'expédition d'Alexandre fut le premier acte de sa jeunesse . Elle fut le début de cette longue lutte de la civillisation contre la barbarie qui est le fond de l'histoire de l'humanité , parce qu'elle est le fond de sa destinée Auparavent la civilisation n'avait pas osé entrer en lice ; trop heureuse d'avoir la vie sauve et de croitre indépendante dans un coin caché du monde , elle laissait l'empire à sa rivale . Elle sortit enfin de sa retraite sous l'enseigne d' Alexandre , ell emit le pied dans l'arène qu'elle n'a plus abandonnée , et dès lors la possession de la terre fut disputée . Aussi cette expédition fut quelque chose de nouveau dans le monde . Elle n'eut point les caractères des invasions barbares qui l'avaient précédée . Au lieu de vaincre par la force , Alexandre vainquit par l'art ; au lieu de détruire , il

fonda ; au lieu d'abrutir , il éclaira . Excepté quelques collèges de prêtres qui cachaient comme un mystère le peu de science qu'ils avaient , Alexandre ne rencontra sur son chemin qu'une fastueuse barbarie : de l'or , point de vertus ; des satrapes et des esclaves ; point d'hommes . Partout la supériorité de la race grecque éclata dans tout ce qui est du domaine de l'âme et de la pensée ; partout aossi les peoples s'êlevèrent en subissant son joug . ce fut moins une conquête qu'uue mission : le general avait le genie d'un apòtre , et ses victiores avaient des lendemains où le disciple d'Aristote éclipsait le roi de Macédione . Jusqu'alors il n'y avait point de monde ; il n'y avait que des nations isolées , enemies ou inconnes les unes aux autres , avec des genies , des habitudes , des directions différentes : Cyrus , comme tous les barbares , n'avait fait qu'un empire : l'expédition d'Alexandre mit en contact , mèla et jeta dans un même systéme toutes les nations de l'orient . par elle , les idées de toutes ces nations firent connaissance ; ells se comprirent , se controlèrent , se rallièrent au flambeau de l'esprit gree , et de cette union intelleetuelle résulta le premier monde civilisé , le monde gree ou oriental . " Jouffroy (Théodore) . philosophe français .

– ومع هول الأهوال، والنوازل، والكوارث، والفواجع، والأخطار التي لاقاها الإسكندر في حروبه، وغزواته، ومناوشاته، ومع تعرضه غير مرة للقتل، والغرق فإنه مات حتف أنفه. ومات وهو في أوج عزه تحيط برأسه هالة من المجد، والقداسة.

ومن بليغ ما قيل عن الإسكندر ما كتبه أحد فطاحل علماء فرنسا مسيو موريس باريس M . Barres الشهير بعدما حضر إلى مصر وزار المتحف الإغريقي الروماني بالإسكندرية، ووقع نظره على آثار، وتماثيل الإسكندر الأكبر، ودون ما جال بخاطره في كتابه (Une enquête aux pays du Levant) ونشرت نتفة منه مجلة العالمين (la Revue des deux Mondes) في عدد ١٥ فبراير سنة ١٩٢٣

هذه هي بعض نواحي عظمة الإسكندر فما أعظمه حيا، وما أعظمه ميتًا. حقا إنها لعظمة تثير العجب، والإعجاب. كلما كاف خيالها في ذهني أتذكر عبارة قالها جوتيه Gaethe فيلسوف ألمانيا الأكبر في فولتيرا Voltaire فيلسوف فرنسا الأشهر:

" Après avoir enfanté , la nature se reposa "

ومعناها "بعد ان أنجبت الطبيعة فولتير استراحت". ألا ينطبق ما قاله جوتيه في فولتير على الأسكندر؟

أما مساوئ الإسكندر فكثيرة. ولكن للحكم عليها يلزم تقديرها حسب ظروف الزمان، وظروف المكان التي وقعت فيها.

إذ لا يعزب عن الفكر أن الإسكندر كان في حالة حرب مع جميع البلاد الواقعة بين نهر الدانوب، وبحر الروم (وهي البلاد التي نسميها الآن سربيا، وبلغاريا، وألبانيا، والجبل الأسود، ودالماسيا، وتراقيا، واليونان). ومع مملكة الفرس التي كانت تمتد من الهند إلى بحر الروم (وتشمل ما نسميه

اليوم بلاد الأناضول، والقوقاز، والكورج، وأرمينيا، وتركستان، وأفغانستان، وفارس، وبلوشستان، وهندستان).

كما كان في حالة حرب مع بلاد العراق، وبابل، وسوريا، وفلسطين، ومصر، ولكل مملكة، أو إمارة، أو دويلة من هذه الممالك، والإمارات، والدويلات نظامها السياسي، ولغتها، ودينهان وشريعتها، وعاداتها، وطباعها، وأخلاقها. فكان لابد للإسكندر – مثل الغزارة، والفاتحين – أن يستعمل الشدة، والقسوة تارة، واللين، والكرم تارة أخرى. يرغب، ويرهب حينا، ويحذر، وينذر حينا. وكان من الطبيعي أن يحتاط للدسائس، والمكايد التي تحاك حوله، وللأهواء، والمطامع التي تظهر من حين إلى حين. وكان بعض هذه البلاد على شيء من الحضارة، والبعض الآخر كان لا يزال على فطرته. وبعضها كان يئن من ظلم الفرس. والبعض الآخر كان يتمتع بشيء من الحرية، والاستقلال.

فما كان في الإمكان أن يعامل كل هذه الشعوب المنوعة على وتيرة واحدة. ثم إنه كان مضطرا أن يعامل بعضها حسب ما يلاقيه منها إما ميلا إلى السلم، أو الاستسلام، أو ميلا إلى النضال، والنزال.

فمن المساوئ التي لوثت سمعة الإسكندر:

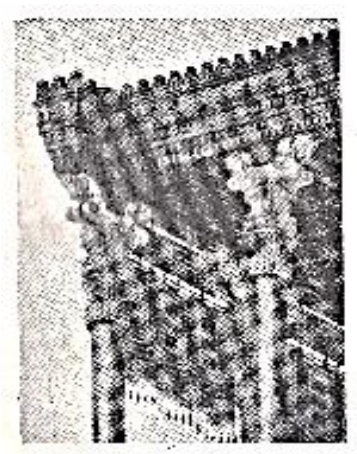
تدميره مدينة Thèbes من عواصم بلاد الإغريق. إذ إنه عرض عليها الصلح أبت، فاستولى عليها عنوة ثم أمر بتدميرها فدمرت، ولم يبق منها سوى الهياكل، والمعابد كما أمر بقتل أهليها إلا الكهنة، ومن احتمى

في المعابد، والهياكل. ولإعجابه بالشاعر الشهير بتدار pindare أمر بأن لا يمس ذراريه بسوء.

وتدميره مدينة صور Tyr التي رفضت التسليم فاضطر إلى وضع الحصار عليها سبعة شهور، ولما استولى عليها أباح لجنوده سلب كل ما فيها من أموال، وتحف، ومجوهرات كما أباح لهم قتل كل أنسي فيها إلا من اعتصم بالمعابد، والهياكل.

وفي اليوم التالي جمع ٢,٠٠٠ رجل، وكبلهم بالحديد، وساقهم إلى شاطئ البحر ثم أمر بإعدامهم جميعا.

– وتدميره مدينة غزة التي رفضت التسليم هي أيضًا فحاصرها ثم مثل بقائدها باتيس شر تمثيل.



ناحية من قصر كزركسيس في برسبوليس.

وتدميره مدينة برسبوليس Persépolis – اصطخر – عاصمة الفرس، وقد دمرها نكالا بالفرس؛ لسبق تدمير ملكهم كزركسيس xerxès مدينة أثينا Athènes عاصمة الإغريق. وجزاء سيئة سيئة مثلها.

– وقتله بارمنيون Parménion قائده الأعظم مع أنه خدم أباه فيليب، وخدمه هو في جميع حروبه، ولم يحترم شيخوخته، وعمره كان ينيف على ٧٠ سنة.

وقتله فيلوتاس Philotas ابن بارمنيون

وقتله كليتوس Clitus أخاه في الرضاعة مع إنه هو الذي أنقذه من الموت مرتين مرة في واقعة كيرونيه Chérouée ومرة في واقعة الجرانيك gruniqus ومع أن كليتوس هذا كان حب الإسكندر، وابن حية، وكان منه بمنزلة السمع، والبصر، ولما مات بكاه بكاء محرقا، وخامر قصره ثلاثة أيام لم يرقأ له فيها دمع، ولم يكتحل بنوم.

ومن يعذره يقول ما قاله أحد المؤرخين في خالد بن الوليد بعدما قتل مالك ابن نويره، وتزوج امرأته أم تميم في يوم مقتله، وقبل أن يجفف التراب دمه مخالفًا بذلك تقاليد العرب إذا قال "فأن أصاب سيفة رهق في لحظة من اللحظات فقد أصاب هذا السيف النصر، والفخار في سنوات، وسنوات" على أن القياس هنا مع الفارق لأن الإسكندر قتل كلينوس Clitus وهو خمير، والخمر أولها مرار، وآخرها خمار. أما خالد فقد قتل مالكًا عامدًا متعمدا، ولغرض غير شريف حتى أن الفارق عمر بن الخطاب

سخط عليه، وطلب من الصديق أبي بكر عزله، ولما لم يعزل في حياة أبي بكر كان أول أمر أصدره عمر بعد توليه الخلافة عزل خالد.

– وقتله الفيلسوف الشهير كالليستين callisthéne

– وقتله بسوس Bessus وشركاءه؛ لاغتيالهم الملك دارا، وقد كانت قتلة بسوس شنيعة جدا. إذ أنه ربط كل ساق من ساقيه بفرس ثم سلَط سوطين على الفرسين في آن واحد فانشطر جسم الرجل شطرين.

– وقتله طبيبه لفشله في معالجة صديقه هفستيون Hephestion

– وقتله جميع الذين اغتالوا أباه فيليب، وجميع من اشتركوا في اغتياله بغير محاكمة.

– وقتله أهالي عاصمة أوكدراك Oxydraques من عواصم بلاد فارس، وانغماسه في الملذات، وتحريضه أخداته، وضباطه على معاقرة الخمر حتى السكر، والعربدة، والغيبوبة. والخمر جماع الإثم.

– واستأله فاكره الإغريق، والفرس، والمصريين، والهنود أن يبحثوا على الركب كلما مثلوا بين يديه. وكان يوقع على الأوامر التي يصدرها باسم (ابن الإله آمون). وفكرة الألوهية هذه سرت من بعده إلى البطالسة، وإلى قياصرة الرومان.

– وطمعه في بسط سلطانه على العالم بأسره. لم يكتف بملك آسيا بل أراد بسط سلطانه على إفريقيا، وأوروبا أيضا.

– وتدويخه، وأوروبا، وآسيا وإفريقيا بحروبه، وغزواته. وثنه عروش ملوك، وأمراء زلزل دولهم، وإهلاكه من الخلق من أهلك. وسبيه من النساء من سبا. وبيعه الأساري أرقاء.



قصر دارا في برسبوليس.

استعرضت في ذهني هذه السيئات فتذكرت كلمة قالها نابليون عندما أثيرت أمامه مفاضلة بين ملك عظيم، ولويس الرابع عشر الذي عده المؤرخون من أعظم ملوك فرنسا بل من أعظم ملوك أوروبا بل من أعظم ملوك العالم القديم حتى أنهم سموا العصر الذي عاش فيه (عصر لويس الرابع عشر Le Siecle de Louis Xiv) ولقبوه (بالشمس Le Roi-Soleil). شبهوه بالشمس؛ لأن نور العلم عصره كان يسطع في جميع أرجاء المعمورة. فلما ذكروا لنابليون نقائص لويس الرابع عشر هذا

أجاب، وهل يخلو وجه الشمس من الكلف " Le soleil lui - même n'ava-il pas des taches "

وفي هذه الاستعارة تورية لطيفة؛ لأن لفظ الشمس هنا له معنيان الشمس الحقيقية، والشمس المجازية (التي أطلقت على لويس الرابع عشر.

خاصيات، ومستطرفات:

الحروب، والمعارك لا تظهر من رجل الحرب إلا ناحية واحدة فقط هي الناحية الفنية الحربية. أما سائر مناحي حياته فتظهر من أقواله، وأفعاله، وحركاته، وسكناته. فقد تبدي لك الفكاهة الحلوة، والنادرة الظريفة، والجواب المسكت، والنكتة اللاذعة، والمستظرفات الطريفة نواحي من الرجل أكثر مما تبديه الناحية الفنية. يقول بلوتارك الرواية المؤرخ اليوناني فئي هذا الصدد:

" Un petit fait un bon mot . une raillerie , sont plue propres à faire connaitre le véritable caracfére des hommes que les batailles et les sieges "

نبدأ بذكر طائفة من أقوال، وأفعال فيليب أبي الإسكندر، وما قيل فيه، وفيها. ثم نعقب عليها بطائفة أخرى من أقوال وأفعال الإسكندر، وما قيل فيه وفيها. والكثير منها ذهب مثلا.

Plutarque , Elien , sénéque et plusieurs autres ont recueilli sur philippe , roi de Macédoine , des paroles

et des actions qui peignent son caractère , et font connaitre son esprit , ses vertus et ses vices .

1- Un esclave était chargé de lui dire chanque matin , à son révell : " philippe , souviens - toi que tu es mortel "

2 - Ses courtisans lui conseillaient de bannir un bomme qui disait du mal de lui : " Bon , bon , répondit-il , pour qu 'il aille en médire partout "



فيليب أبو الإسكندر يستعرض جنوده.

3- On l'excitait à chasser de sac our un philosophe qui avait la hardiessc de lui addresser des reproches : " Prenons garde , répodit-il , si nous ne lui en avons point donné sujet . "

4- Quand il apprenait qu'un de ses ennemis était dans la gene il lui faisait porter des secours , et

disait à ce sujet ce mot , qui annonce au moins une politique habile : “ Il est au pouvoir des rois de se faire aimer ou hair . “

5- Après la bataille de Chéronée , Philippe , dans l’ enivrement de la victoire , insultait aux prisonniers . L ’orateur Démades , l’un d’eux , dit alors hardiment au prince : “ Tu joues le role de Thersite , quand tu pourrais être un Agamemnon . “ Cet avis généreux valut la liberté à Démades et un traitement plus doux aux autres prisonniers .

6- Une pauvre femme la pressait de lui render justice , et comme il la renvoyait de jour en jour : “ Cessez done d’être roi , “ lui dit-elle avec émotion . Ce mot naif , mais profound , ramena soudain Pholippe à son premier devoir .

7- A une audience publique , comme il se tenait dans une position peu convenable , un esclave l’en avertit : “ Qu’ on mette cet homme en liberté , dit Philippe , j’ignorais qu’il fût de mes amis . “

8- Un autre jour , une femme vint lui demander justice au sortir d’un long festin , et fut condamnée : “ J’en appellee , s’écria-t-elle vivement . - Et à qui ? répondit le roi ; - A Philippe à jeun , “ répliqua-t-elle , et Philippe examinant de nouveau l’affaire reconnut l’injustice de son jugement et la répara aussitôt . Cette dernière anecdote est restée célèbre et il est fait souvent allusion .

9- Pendant que la Grèce était déchirée par les fureurs de la Guerre Sacrée , Philippe s'empara de Méthone et la détruisit . C'est pendant le siege de cette ville qu'il perdit l'oeil droit , par une singulière aventure que raconte suidas . Un habile archer d' Amphipolis , nommé Aster , était venu offrir ses services à Philippe . Il se vantait de ne jamais manquer un oiseau dans son vol le plus rapide . " Bon lui avait répliqué Philippe , je t'emploierai quand je ferai la guerre aux étourneaux . "

La raillerie piqua au vif l'habile tireur ; il se jeta dans Méthone , et lança contre le roi une flèche sur laquelle il avait écrit ces mots : " A l'oeil droit de Philippe . " Aster n'avait pas exagé ré son adresse ; car la fleche alla frapper le but . Philippe la fit renvoyer à l'archer avec cette inscription . " Si Philippe prend la ville , Aster sera pendu ; " et il tint paroie .

10- Philippe , rôi de Macédoine et d'Alexandre le Grand , est un des plus habiles politiques qui aient régné . Il s'avançait par tous les moyens possibles vers le double but qu'un genie ambitieux lui avait révélé comme le terme de ses efforts : l'unification de la Grèce sous son autorité , et la conquête des Perses . Toute sa vie il y marcha par la force ou par la ruse , par le fer ou par l'or , directement ou par des voies détournées ; enfin son grand art était d 'unir la force à la dissimulation . On a pu dire de lui , qu'élevé par Epaminondas , grand philosophe , grand capitaine et grand homme d'Etat , Philippe

avait appris sous ce maître illustre l'art de la guerre et l'art de gouverner , mais qu'il n'avait su acquérir ni sa justice ni sa grandeur d'âme , ni son désintéressement . L'un des premiers actes de son règne avait été de s'emparer de Crénides , près de laquelle il avait trouvé des mines d'or qui lui rapportaient chaque année , plus de 1,000 talents (environ six millions) ; c'est avec cet argent qu'il corrompit la Grèce .

L'oracle de Delphes lui avait dit ; " sers-toi d'armes d'argent , et rien ne te résistera . " Il fot toute sa vie fidèle à ce conseil , et il avait coutume de dire qu'il ne connaissit pas de forteresse imprenable , " quand un mulet chargé d'or pouvait y monter . "

Le mulet de Philippe , ce mot d'une force si pittoresque et si originale , revient sous la plume des écrivains , quand ils veulent exprimer avec énergie la puissance irresistible de l'or . Fleurs historiques , par P. Larousse

فذهبت مثلا. مثال:

" Je suis convaincu que les animosités , l'amour-propre et l'intempérance de langue ont plus nui à la République que le mulet du roi Philippe . " Camille Desmoulins , le Vieux Cordelier .

مثال آخر:

" Au jardin des Tuileries ; nous regardions jouer le télégraphe , espérant ou craignant la nouvelle qui traversait l'air sur notre tête. O mule : chargé de l'or de Philippe ; comme vous nous manquiez pour entrer dans les forteresses de Ferdinand ; Eussions-nous eu cinquante millions à nous , nous en aurions dispose , afin d'écarter ce qui pouvait nous faire obstacle . Chateaubriand , Guerre d'Espagne .

أما عن الإسكندر فقد روينا من قبل بعض مستطرفاته، ومنها ما ذهب مثلا مثل ما دار بينه، وبين أبيه. وما قاله بعد أن وزع أمواله. "
Prince lui demanda

Perdiccas , que vous reservez-vous done ? " " L' espérance " répondit Alexandre

فذهبت مثلا. وها مثال:

L'espérance , Alexandre n'avait pas autre chose dans son sac lorsqu'il partit pour la conqête de l'Asie . V. Edmond About . Guillery .

وما دار بينه، وبين أم دارا، وزوجة دارا. وما قاله فيه دارا لما بلغه عناية الإسكندر بجميع أفراد أسرته. وما قالته أم دارا فيه لما بلغها نبأ موته. وما دار بينه، وبين ديوجين. " Si Je n'étais Alexandre , je voudrais être Diogène "

تياجين. وما دار بينه، وبين بارمنيون لما عرض دارا الصلح " Et moi aussi , si . j'étais parménion وقد ذهبت مثلا وما قاله الإسكندر لأتالوس. وما أظهره من الثقة في طبيبه لما وشوابه. وما قاله الإسكندر لبوروس ملك الهند. وما قالته تالستريس ملكة الهند لأسكندر. وما فعله اسكندر لما مثل اسن قواده بين يديه، وتضرع إليه باسم الجيش بأن يأمر بالعودة إلى الوطن. وما قاله بعض حكام الفرس في الإسكندر الطفل وهلم جرا. والآن نذكر لك طائفة أخرى.

– كانت عينا الإسكندر مختلفتي اللون. اليمنى كانت سوداء، واليسرى زرقاء.

– ظهرت أول علامة دلت على فرط فراسة الإسكندر، وهو شاب عندما عجز حواشي أبيه عن ركوب الجواد بوسيفال. الجواد لم يكن حرونا بل كان سلسا. إنما لما وقع نظره على ظله خاف، وحزن. أدرك الإسكندر ذلك فأمسك بلجام الجواد، وأدار وجهه نحو الشمس فوقع الظل خلفه فلم يره. عند ذلك وثب الإسكندر، وامتطى الجواد، وجرى به أمام أبيه، وأمام الحاضرين. فرح أبوه، وبكى من فرط إعجابه ثم عانق ابنه، وقال له (أن الملك الذي سوف أتركه لك سيكون صغيرًا بالنسبة إلى رجل مثلك).

Le royaume que je te laisserai est trop petit pour un homme comme toi "

– وكما كان الإسكندر ذا فراسة في صباه كان طموحا إلى العلى، والحكم. فكلما بلغه خبر انتصار أبيه في معركة ما يتأوه، ويقول (سوف لا يترك لي أبي شيئا أعمله إذا ما آل إليَّ الملك من بعده)

Mon père ne me laissera rien à faire quand je serai en âge de commander "

– سئل، وهو فتى إذا كان في نيته دخول المباراة في الألعاب الأولمبية فأجاب:

" ادخل إذا كان أندادي ملوكا"

" J' irais , si je savais y rencontrer des rois pour rivaux "

– هبط على بلاط الملك فيليب اثنان من حكم الفرس، وكان عمر الإسكندر سبع سنوات. فانتهز الإسكندر فرصة اجتماعه بهم، ووجه إليهم أسئلة متعددة عن أحوال ملكهم، وبلادهم، ونظمها السياسية، والحربيةن والإدارية، وبقى يتحدث معهم هنيهة من الزمان فأعجب الحاكمان بذكائه، وقال أحدهما (مع أن الإسكندر لا يزال طفلا إلا إنه بلغ عظمة كبار الملوك. أما ملكنا نحن فكل ما يمكن أن يقال فيه إنه أمير من كبار الأغنياء).

– لما عجز فيليب عن فتح بيزانطة (أستانبول الآن) انقلب راجعا إلى بلاده.

وفي أثناء عودته قاتل شعوب تراقيا (les Triballes) وفي أثناء القتال أصابه رمح في فخذه فوقع هو، وجواده. فلما رآه الاسكندر قد وقع كان أسرع من طرفة عين لإنقاذه فصال على الإعداء، وقتل منهم خلقا كثيرًا، وولى الباقون الأدبار.

– كان الإسكندر يجل أستاذة أرسطاطاليس إجلالا كبيرًا، ويحفظ له ذكرى عهد تلمذته عليه، وكان يقول دائما (لأبي على فضل، ولأرسطو على فضل. إلا إن فضل أرسطو فوق فضل أبي؛ لأن لأبي فل وجود، ولأرسطو فضل تعليمي وتربيتي)، واعترافا بفضل أبيه عليه فكر في أن يخلد ذكراه بغقامة مقبرة له تكون على مثال أهرام الجيزة، وبحجم الهرم الأكبر.

– بلغت جرأة الإسكندر مبلغا أدهش العالم إذ إنه على الرغم من بسطة ملك دارا – وكان ملكه يحوي ١٢٥ مملكة وإمارة، ودويلة وولاية – وكثرة جيوشه، ووفرة موارده فإن الإسكندر مع صغر سنه، وصغر جيشه، وقلة موارده، لم يتردد لحظة في محاربة دارا؛ ليثأر لبلاده التي غزاها الفرس من قبل، ودمروا مدنها، وخربوا قراها، وسلبوا آثارها، وسبوا نساءها، وأسروا رجالها، واسترقوا أولادها. وليحرر المدن الإغريقية، والثغور الإغريقية، ويرفع عنها نير ملك الفرس بانتزاع صولجان الملك منه، وبسط سلطانه هو على آسيا بحذافيرها.

– لما وقعت اسرة دارا في أسر الإسكندر ذهب الإسكندر بنفسه، ومعه صديقه

هفستيون Héphestion لمواساتها. فعندما وصل الى الصيوان جثت أم دارا، وزوجته على قدمي هفستيون ظنا منهما أنه هو الإسكندر. إلا ان أحد عبيد دارا نبههما إلى خطئهما، فأرادت الأم أن تعتذر فأجابها الإسكندر من فوره متواضعا لا محل للإعتذار يا أمي لأن هذا – وأشار إلى هفستيون – هو أيضا الإسكندر Vous ne vous êtes pas

trompée , ma mère , celui-ei est aussi Alexandre
"

– عامل الإسكندر أم دارا معاملة كريمة جدا فحفظ لها مقامها بما يحفه من عظمة، وجلال كما لو كان دارا جالسا على عرش الفرس، وكما لو كان دارا حيا. فلما اتصل بأم دارا نبأ موت الإسكندر بكت، وقالت (من لنا بعدك يا اسكندر، ودعت له بالرحمة)

– بعدما برح الإسكندر ممفيس (ميت رهينة الآن) وصل إليه نبأ وفاة ستاتيرا Statira زوجة دارا متأثرة بالمصائب التي حلت بها، وبزوجها، وبوطنها. فأمر الإسكندر بأن يكون الاحتفال بتشييع جثمانها احتفالا فخما يجمع كل ما عرفه الفرس من الأبهة، والعظمة، والجلال، وأن تكون الجنازة حسب الطقوس، والعادات الفارسية. فلما علم دارا بما فعله الإسكندر قال (اللهم قدرني على أن أحتفظ ببلاد فارس لأتركها الخلفائي من بعدي كما تلقيتها عن أسلافي من قبل. وإذا أرادت مشيئتك أن تسقط أسرتي عن العرش فالإسكندر أولى به من سواه)

– وانكسار دارا في معركة أربل، وفراره إلى ولاية بخاري عند حاكمها بيسوس خوفا من وقوعه في أسر الإسكندر ثم خيانة بسوس، واعتقاله دارا ثم قتله أياه غيلة تمهيدا؛ لاستوائه على عرش الفرس من الحوادث التاريخية التي ضربوا بها المثل في الخيانة، والغدر مثلها كمثل قصة كليب التي يتمثل بها الشاعر في قوله:

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

وها مثال واحد من ألف:

" Gauthier , de Lille surnommé de Chàtillon , qui vivait au quinzième siècle . Il a composé un poème en dix chants , intitule l'Alexandrèide . Le vers dont il s'agit est le 30le . du cinquième livre , où le poète s'adresse a Darius qui , fuyant Alexandre , tomba entre les mais de Bessus .

Quo tendis inertem ,

Rex periture , fugam ? Nescis heu , perdite , nescis

Quem fugias ; hostes incurris dum fugis hostem ,
Incidis in Scyllam cupiens vitare Charybdim .

" Roi , qui dois périr , où cours-tu dans ta fuite inutile ? Hélas , malheureux , tu ne sais . qui tu dois fuir . Pour échapper â un ennemi tut e précipites sous les coups d'un ennemi , pour éviter

Charybde tu tombes dans Scylla . " V. Flore latine par Pierre Larousse . P. 120,121

وكان ينهي عن القتال في الليل. ينام ملء جفونه كلما جن الليل. حدث أن فريقا من ضباطه حضروا إليه ذات ليلة، وقالوا له أن الظروف مواتية للهجوم على الفرس في ظلام الليل. فأبى أن يستمع منهم، وقال لهم "لسنا لصوصا نعمل خلسة في جوف الليل".

ومن الأمور الغريبة تحقق خمس نبؤات، وثلاث مصادفات تتصل بحياة الإسكندر.

النبؤة الأولى، لما نوى الإسكندر محاربة الفرس، وغزو آسيا مر بمدينة دلف Delphes (في بلاد اليونان) ليستوحي معبودها. فلما تباطأت الكاهنة في الصعود على الدرج أمسكا الإسكندر بقوة، ودفعها نحو الدرج. فقالت له الكاهنة: "يا ابني، ومن ذا الذي يقدر على مقاومتك ." " Ah! Mon fils on ne saurait te résister فقال الإسكندر: (هذا الوحي يكفيني، ولا أريد غيره " cet oracle me suffit , et je n'en veux point d'autre ") ، وقد كان ما قالته الكاهنة.

والثانية – عندما زار مدينة جورديوم Gordium وجد فيها مركبة عليها حبل ملفوف ومعقد عجز الناس عن حله. وسرى في اعتقاد الناس بأن الآلهة قالت بأن من يحل عقدة هذا الحبل يبسط سلطانه على العالم. فلما حاول الإسكندر حل العقدة، ولم يوفق أغتاظ فانتضى سفينه، وهوى

به على العقدة فقطعها. فاعتقد الناس أن النبوءة تحققت، وأن الإسكندر سيبسط سلطانه على العالم. وقد تحققت النبوءة.

الثالثة – لما وصل الإسكندر إلى واحة سيوة، ودخل معبد آمون طلب من كبير الكهنة أن يسأل الاله آمون أن كان سيوفق في حروبه، وغزواته، ويبسط سلطانه على العالم أن لا. فأجابه كبير الكهنة بأن سأل آمون معبود المصريين، فكان جوابه بالإيجاب. وقد تحققت نبوءة آمون.

الرابعة – بعدما بسط الإسكندر سلطانه على آسيا، وبويع في مدينة أربل Arbèles ملكا على آسيا، وبعدما غزا جميع البلاد ووصل إلى الهند قفل راجعا، وقبل دخول مدينة بابل حضر إليه وفد من أعيانها، وقالوا له أن معبودهم ماردوك Mardouk تنبأ بأنه إذا دخل الإسكندر مدينة بابل فإنه يموت فيها. وقد تحققت هذه النبؤة الثالثة أيضا

وبهذه المناسبة نقول أن الإغريق (ولا سيما أهالي أثينا، وأسبارطه) كانوا يحضرون خصيصا من بلادهم لاستلهام آمون معبود المصريين. وكان شعراؤهم ينظمون الشعر مدحا فيه كما كان مؤرخوهم يذكرونه في كتبهم، وفي أحاديثهم. وكان أهالي برقة، وقرطاجنة يحجون إليه ليستوحوه. وقيل أن سيميراميس Sémiramis ملكة بابل حضرت هي أيضا من بابل إلى مصر خصيصا لتستوحي آمون. كما أن بعض الملوك، والفلاسفة كانوا يحجون أيضا إلى واحة سيوة لاستلهام آمون ومنهم كريزوس Crésus وسيمون Cimon والسيبيا Alcibade وليزاندرLysandre .

الخامسة – لما تنبأ سيدنا دانيال لبختنصر بأن دولة الفرس زائلة تنبأ في الوقت نفسه بأنها ستزول على يد الروم، وشبه ملك الروم ينسر للدلالة على أنه سينقض عليها كانقضاض النسر على فريسته. وقد كان.

السادسة، والسابعة (من المصادفات) – حدثت حادثتان يوم ولادة الإسكندر خلال سنة ٣٥٦ قبل الميلاد الأولى احتراق معبدا يفيز Ephése وهي مدينة في آسيا الصغرى Ionie على بعد ٦٠ كيلو مترا من أزمير اشتهرت بالمعبد الشهير الذي بني على الطراز المصري القديم وعدَّ من عجائب الدنيا السبع، وقد شيد بالمبالغ الوافرة التي أكتتبت بها مدن آسيا. ففي يوم ولادة الإسكندر دخل مخبول اسمه إيروسترات Erostrate ووضع النار في المعبد فالتهمته وأصبح أثرا بعد عين. وإيفيز هذه دثرت وحلت محلها قرية اسمها الآن أيا صلوق Aia Solouk . والثانية استيلاء جيوش فيليب.



الإسكندر على صهوة جواده.

ملك مقدونيا على مدينة بوتيه Potidée وهي مدينة في بلاد اليونان على برزخ كورنتا اسمها الآن بيناكا Pinaka

أول الناس وقوع هاتين الحادثتين في يوم واحد، وفي يوم ولادة الإسكندر ببداية عهد جديد تسعد فيه مقدونيا، وتشقى فيه آسيا. وقد كان.

الثامنة – لما أغتيل فيليب أبو الإسكندر أبتهج الإغريق، وفرحوا، وقاموا بمظاهرات عدائية ضد المقدونيين حتى أن مدينة طيبة ذبحت الحامية المقدونية على بكرة أبيها. خطب فيهم فوسيون Phocion أحد قوادهم وقال لهم "لا تتعجلوا أن الجيش الذي هزمكم في واقعة كيرونيه chéronéeلا يزال كما كان لم ينقصه إلا رجل واحد".

فلما اتصل قوله هذا بالإسكندر قال مهددًا "الجيش لم ينقصه أحد. واحد حل محل واحد. وسيعلم الثائرون أي منقلب ينقلبون" وقد كان. إذ نفذ الإسكندر، وعيده فزحف على رأس جيشه، ولما بلغ مدينة طيبة دمرها، ولم يذر فيها حجرا على حجر.

– وجواد الإسكندر بوسيفال Bucéphale بقي اسمه على ممر الدهور، والأعوام علما على الجواد المطهم. كتب الكاتب الفرنسي الشهير شاتوبريان Chateaubriand

في كتابه: Itinéraire de Paris à Jérusalem

“ On tacontait , lorsque j’étais à Jérusalem , les prousses d’une de ces cavales merveilleuses qui font souvent l’objet de l’entretien du pays Ali-Age m’a religieusement montré , dans les montagnes , Près de Jéricho , la marque de cette jument morte en voulant sauver son maître . Un Macédonien n’aurait pas regardé avec plus de respect la trace des pas de Bucéphale . Chateaubriand , Itinéraire de Paris à Jérusalem . “

- كان الإسكندر، وهو في قلب آسيا، وفي أطرافها يحسب حساب أهل آتينا، وأهل أسبارطه، وأهل كورنته، وأهالي بلاد الإغريق الذين كانوا يعدون في طليعة العالم المتمدن في ذلك الزمان. وكان كلما غزا بلدا، أو هزم عدوا يفكر في ما يقوله هؤلاء، وهؤلاء في بطولته، وفي فروسيته ويقول: "يا أهل آتينا كم جهاد جاهدت في سبيل إرضائكم، وكسب أطرائكم" فذهبت مثلًا.

“ Du font de l’Asie , Alexandre avait les regards fixes sur la Grèce , et surtout sur Athènes . Malgré l ’abaissement dans laquelle elle était tombée , Cette ville , par les chefs-d’oeuvre de ses artistes , les immortelles harangues de ses orateurs et les écrits de ses historiens , était toujours restée la metropole du monde civilisé ; et Alexandre , si passionné pour la groire , aspirait avant tout aux applaudissements de ces Athéniens frivoles , mais qui n’en distribuaient pas moins pour la postérité le blame et la louange . Le conquérant venait de pénétrer dans les vastes régoins de l’Inde , et se préparait à traverser l’

Hydaspe , dont porus , à la tête d'une armée formidable , allait lui disputer le passage . Le fleuve était large et profound . et ses flots se brisant avec fracas , montraient ça et là des rochers menaçauts , Alexandre trompe l'attention des ennemis par une fausse attaque , et profitant d'un orage qui dérobe ses mouvements , brave des perils inouis pour passer le fleuve ? Il avoua ensuite qu'il avait enfin trouvé là un peril digne de son courage , et ce fut dans cette circonstance , dit Racine qu'il s'écria : " O Athéniens , combien il en coûte pour être loué de vous ; "

فذهبت مثلًا:

" Un auteur doit done se donner toutes les peines imaginables pour en épargner à ses lecteurs : il doit souvent répéter d'après Alexandre le Grand : " O Athéniens ; qu'il m'en ooûte pour être loué de vous ; "

– توجد أيام في حياة الإنسان، وفي حياة الأمم لها شأن يذكر اتخذها المؤرخون مبدأ للتاريخ. فمولد المسيح مثلا كان حادثا عظيم الشأن في تاريخ النصرانية اتخذه النصارى مبدأ لتاريخهم. وهجرة النبي من مكة إلى المدنية كانت حادثا عظيم الشأن في تاريخ العرب اتخذها المسلمون مبدأ لتاريخهم. والثورة الفرنسية التي شبت في سنة ١٧٨٩ كانت حادثا عظيم الشأن في تاريخ فرنسا اتخذها الفرنسيون مبدأ لتاريخ حياة جديدة في فرنسا (إلا أن العمل بتاريخ الثورة لم يعمر طويلا).

وانتصار الإسكندر على دارا في سنة ٣٣٠ قبل ميلاد المسيح كان حادثا عظيم الشأن في تاريخ العالم القديم. اهتزت له إرجاء الإمبراطورية الفارسية في آسيا، وفي إفريقيا كما اهتزت له بلاد الإغريق، ومقدونيا، وما إليها. عظم شأن هذا الحادث حمل هذه البلاد على تأريخ حوادثها الكبيرة بسنة انتصار الإسكندر على دارا. وكون الشعوب الأسوية تؤرخ حوادثها بسنة انتصار الإسكندر على دارا أن صح أن نفهمه، وأن نقبله، وأن نبرره إلا أننا لا نفهم كيف أن العرب حذوا حذوهم، وصاروا هم أيضا يؤرخون.



رأس الإسكندر

الموجود في المتحف الإغريقي بإسكندرية.

بسنة انتصار الإسكندر على ملك الفرس، مع أن بين عهد الإسكندر، وصدر الإسلام ألف سنة تقريبا. ذكرنا من قبل أن مؤرخي

العرب أرخوا مولد النبي بغلبة الإسكندر على دارا. فتجد مثلا المقريزي عند كلامه على تاريخ مولد النبي يقول في الصحيفة الرابعة من الجزء الاول من كتابه (امتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء، والمتاع): (وكان على الحيرة – يوم ولد – عمرو بن المنذر بن امرئ القيس، وهو عمرو بن هند، وذلك قبل ولاية النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس على الحيرة بنحو من سبع عشرة سنة، وهي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الإسكندر بن فيلبوس المجدوني على دارا).

وفي صفحة ٤٤ قال عن مقدم النبي المدينة، ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة من ربيع الأول حين إشتد الضحاء. وقال ابن شهاب للنصف منه، وذلك سنة أربع وخمسين من عام الفيل، وهو اليوم العشرون من أيلول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة للأسكندر ...) والتقويم المقدرني يبدأ عندهم مم الخريف، ويتألف من اثنى عشر شهرا هلاليا.

وبعد انتصار الإسكندر على دارا صدر أمر إلى جميع بلاد آسيا بوجوب العمل بالتقويم المقدوني، ونفذ هذا الأمر في مصر حينا من الزمان.

– خلد الإغريق ذكرى الإسكندر بتماثيل جمة من صنع مهرة الفنانين اقتنت متاحف أوروبا، وأمريكا عددا كبيرا منها، ولعل من أتقنها، ومن أجملها رأس الإسكندر الذي عثروا عليه في قاع النيل، ونقل إلى متحف الإسكندرية ثم تسرب منها فيما بعد الى متحف بوسطون Boston

بأمريكا ، كذلك خلدوا ذكراه بنقش صورته في العملة التي كانت متداولة في ذلك العهد، وهي من صنع الفنان الشهير ليزيماك Lisimaque .

كما نقشوا صورته على المداليات الذهبية الكثيرة التي عثروا عليها في حفريات أجريت في بعض البلاد. وعثروا في ملك البارون الفريد منشه في شارع باب شرق بالإسكندرية (وهو الآن شارع فؤاد الأول) على رأس للإسكندر الأكبر من المرمر الفاخر. ويوجد في مونيخ بألمانيا بالمتحف المسمى جليب توتيك Glyptothèque آثار مصرية قديمة منها تمثال لرع آله الشمس عند المصريين، وتمثال لأحد الكهنة المصريين، ومسلة من العهد الروماني، ورأس لجوبيتير آمون Jupitor Amon " ذو قرنين " وتمثال آخر للأسكندر الأكبر.

كما توجد في مكتبة جينيفيف Généviève بباريس كامية Caméeمن العقيق للأسكندر الأكبر من أروع ما وجد. وفي المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية تمثال أثري قديم للإسكندر (وهو الذي نقلنا صورته في كتابنا هذا).

– واشتهر في عهد الإسكندر مصور بارع اسمه أبيل Apelles صنع للإسكندر صورة بديعة جدا يظن الناظر إليها أن الإسكندر سينطق وصل إتقانها إلى درجة أن الإسكندر نفسه عندما رآها قال أن للإسكندر الآن شخصين الشخص الحقيقي ابن فيليب، والشخص المجازي ابن أبيل.

كما أنه صور جواده يوسيفال Bucephale وبلغت درجة إتقان التصوير انه لما وضع الإسكندر الصورةأامام جواده صهل.

– وكان بين الإغريق مهندس اسمه دينوكرات Dinocrate من أهالي رودس عرض على الإسكندر أن ينحت في جبل آنوس Athos تمثال ضخم يمثل الاسكندر، ويكون طبق الأصل تماما.

– رويت لك قصة ملكة الهند تالستريس، وزواجها بالإسكندر. وها قصة أخرى مثلها يرويها المؤرخون العرب، وكلها عجب.

في عهد خلافة أبي بكر الصديق كانت امرأة تميية من بني يربوع اسمها سجاح بنت الحارث أدعت النبوة – ولعلها الانثى الوحيدة التي أدعت النبوة، وأرادت أن تغزو المدينة، وأن تقاتل أبا بكر، وأن تدعو العرب إلى الإيمان بها ليقولوا عنها ما قاله عينية بن حصن عن طليحة "نبية من بني بربوع خير من بني من قريش، وقد مات مُحَمَّد وسجاح حية".

فلما بلغت سجاح اليمامة هابها مسيلمة، وأرسل إليها يستأمنها على نفسه، فأذنت له فجاء في أربعين من بني حنيفة ثم خلا إليها يحدثها، ويذكر لها إنه كان يرى أن لقريش نصف الأرض فظلموا فليكن نصف الأرض لها. ثم تناظرا، وتحادثا، وطال بهما الحديث، وأعجبت سجاح بمسليمة، وبحلو حديث، وما شرع لقومه، وانتهت إلى الإيمان بتفوقه. فلما عرض عليها أن تجمع نبوته إلى نبوتها، وأن يتزوجا قبلت، وانتقلت إلى خيامه، وأقامت معه ثلاثة أيام "بلياليها الملاح" ثم رجعت إلى قومها. (

راجع كتاب الصديق أبي بكر لهيكل باشا صفحة ١٤٠ وما بعدها). أليست هذه "صورة مصغرة" لما حدث بين الإسكندر، وتالستريس.

– ولعل أغرب المصادفات، والتوفيقات التي صادفت الإسكندر الحادثتان اللتان وقعتا له عندما قصد زيارة معبد جوبيتير آمون في واحة سيوة

الأولى – بعد مسيرة أربعة أيام من مرسى مطروح نفد الماء الذي كان لدى الإسكندر قد تزوده من الإسكندر، وأصبح الجيش في حالة قلق يكاد يدنو من اليأس. وبينما هم في هذه الحال من القلق، واليأس إذا أمطار غزيرة لم تكن في الحسبان تهطل عليهم بكثرة لم يعهد لها مثيل فارتوى الجند بعد أن كادوا يهلكون من العطش، وكان تهطال المطر بدرجة عظيمة حتى أن بعضا من الجنود كانوا يفتحون أفواههم ليتلقوا مياه المطر، وهو نازل من السماء.

والثانية – في أثناء زحف الإسكندر، وجيشه نحو سيوه ضلا الطريق؛ لأن الأمطار الهطالة، والسافيات العاصفة تحت أثر الطريق المؤدي إلى سيوة. فحار الإسكندر، وقواده، وجنده، وأصبحوا يقلبون كفا على كف لا يدرون في أي طريق هم مسوقون. وبينما هم على هذه الحال من الحيرة إذا غرابان يحلقان في السماء (على رواية المؤرخين ديودور الصقلي Diodoreوكونت كورس Quinte Curce وأرستوبول

- Aristobule) أو ثعبانان (على رواية بطليموس) يزحفان في البيداء. فاستبشر الإسكندر وأيقن أنه وجنده على مقربة من الواحة.

وجدوا في السير فوجدوا بحيرة فيها ماء ملح – بحيرة المعاصير – وبعد ٣٠ كيلو مترا صادفوا مدائن آمون (ولعلها بلدة الزيتون) وبعد يوم وصلوا إلى معبد جوبيتير.

– روينالك كيف أن جنود الغسكندر بعدما انتصروا على الهنود، وأراد الإسكندر أن يتوغل في بلاد الهند تذمروا، ورفضوا المسير، وقالوا أن الحرب أضنتهم، وأنهم يودون العودة إلى بلادهم ثم تقدم أسن القواد، وتضرع إليه باسم الجيش بأن يقف الغزو، والفتح، ويعود بهم إلى الوطن إلا أن الإسكندر عند، واستعند، ولم تؤثر فيه بلاغة، ولا ضراعة، ولا شفاعة، ولا تهديد، ولا وعيد، وقال "سأغزوا بلاد الهند حتما، ولو فعلت وحدي" ثم ألقى بنفسه في النهر، وهو مرتد ملابسه العسكرية، وسبح إلى أن بلغ الشاطئ الآخر. فلما رأى جنده ما فعل ملكهم امتثلوا، وتبعوه. يذكرنا قول الإسكندر إنه سيغزو بلاد الهند، ولو غزاها وحده سابقتين تاريخيتين:

الأولى: لما فر نابليون من جزيرة ألب Elbe فر ومعه ١,١٠٠ جندي غير مسلحين لم يكن معهم حتى مدفع واحد. وفي أول مارس سنة ١٨١٥ نزل في خليج جوان Juan على مقربة من رأس أنتيب Antibes(جنوب فرنسا) فمذ عرفه الأهالى صاحوا "يحيى الإمبراطور" ثم زحف قاصدًا باريس، ولما وصل إلى مدينة جرينوبل وجد ملك فرنسا لويس

الثامن عشر قد أرسل لصده آلايين، ونصف آلاى من المنشاة، وآلايآ من الفرسان، وقوة من المدفعية. كان في قدرة المشاة، والفرسان، والمدفعية أن تفتك بنابليون، وبصحبه في لحظة.

إلا أن نابليون لم يبال، وتقدم ووقف وحده أمام جنود ملك فرنسا فلما رأوه بهتوا، وجمدوا فالتفت قائد الآلاى الأول إلى قومندان الحامية، وقال له "ماذا تريد أن أفعل. أن جنودي جمدوا، وتولتهم رعدة أمام هذا الرجل".

عند ذلك كشف نابليون صدره للجنود، وقال لهم "أني إمبراطوركم. هل تعرفونني. من حدثته نفسه منكم أن يقتل غمبراطوره فها أنا أمامكم". عند ذلك صاح الجنود (فليحي الإمبراطور) وانضموا إليه ثم زحفوا معه إلى أن دخل مدينة ليون Lyon ظافرا، ومن ليون زحف إلى أن دخل باريس. وقبل وصوله إليها فر ملك فرنسا، واستعاد نابليون صولجان ملكه. كل هذا تم في ١١ يوما. ومن الغريب أن نابليون استعاد سلطانه على فرنسا، ولم تطلق طلقة واحدة. وقد وصف شاتوبريان Chataubriandعودة نابليون وحده، واستعادته الحكم بكلمة جمعت بين الإيجاز والإعجاز فقال:

" l'invasion de la France par un seul homme "

والثانية : لما ثار الإيطاليون على النمساويين في سنة ١٨٦٠ وأرادوا طردهم، وضم جميع بلاد إيطاليا تحت راية واحدة، وتحت حكم

ملك واحد أبحر جاريبالدي Garibaldi على رأس ١,٠٠٠ شخص، ونزل في مدينة مارسالا Marsala بجزيرة صقلية ثم زحف واستولى على مدينة بالرمو Palermo التي دافع عنها الجنرال لانزا Lanza مدة ثلاثة أيام. إلا أن جريبالدي انتصر في واقعة ميلازو Milazzo في ٣٠ يوليه سنة ١٨٦٠ واستولى على مدينة مسينا Messine وباستيلائه عليها تم له غزو جزيرة صقلية كلها . بعد ذلك أراد أن يغزو مملكة نابولي le royaume de Naples وكان عليها الملك فرنسوا الثاني François II. وبمجرد ما اتصل بالملك فرنسوا خبر انتصار جريبالدي في صقلية فروترك مملكته. فعبر جريبالدي وحده البحر، ودخل وحده في مدينة نابولي العاصمة دون أن يكون معه جندي واحد، وبدون أن يطلق طلقة واحدة، وبسط سلطانه على المملكة كلها بصفته ديكتاتورا.

ولما تم له الأمر أعلن انضمام مملكة نابولي إلى مملكة أل بيمونت Piémontتحت راية ملكها فيكتور أيمانويل Victor Emmanuel وكان هذا تمهيدًا لوحدة إيطاليا كلها.

أتدري من سماه الإسكندر "الأكبر"؟ لا المقدونيون، ولا الإغريق، ولا الفرس هم الذين أطلقوا عليه هذا اللقب. الذين نعتوه "بالأكبر" هم الرومان؛ لأنه لما ذاع صيت الإسكندر، وأدهشت فتوحاته، وغزواته العالم أراد مجلس شيوخ "روما" أن يظهر للملأ أعجابه بهذا الرجل العجيب الذي ملأ الأسماع، وملأ النفوس، وملأ كل فراغ فوق الأرض، وكل فضاء تحت

السماء. فاجتمع، وقرر إضافة لقب الأكبر Le) "Magnus
Grand).

إلى اسم الإسكندر. وقد طوى التاريخ ٢,٣٠٠ سنة، ولا يزال هذا اللقب حتى الآن يزين اسمه. ومن فرط إعجاب العالم به سماه بعض المؤرخين) سيد العالمCosmocrator maitre du monde) كما سماه البعض الآخر (رب المعجزات) وغلا البعض فعدوه نبيا من الأنبياء، وذاعت خرافة بأنه بعد موته هبطت ملائكة، وصعدت بروحه إلى السماء. وقد انتهز بعض الفنانين فرصة شيوع هذه الخرافات، وصنعوا تعاويذ يتبرك بها الناس.

ومن حسن المصادفات أن مجلس شيوخ فرنسا قرر هو أيضا في خلال سنة ١٨٠٥ إضافة وصف "الأكبر إلى اسم نابليون بعد أن انتصر في ديسمبر سنة ١٨٠٥ على الروس، والنمساويين في واقعة أوسترليتس
Austerlitzوقد أطلق المؤرخون على واقعة، أو سترليتس هذه اسم)
معركة الأبراطرة الثلاثة La bataille des trois emoereurs لأنه شهدها الإمبراطور نابليون بنفسه، وفرنسوا الثاني إمبراطورا النمسا بنفسه، والإسكندر الثالث قيصر روسيا بنفسه. وكان من نتائج انتصار نابليون في هذه المعركة أن فقدت النمسا بلاد التيرول Tyrol وبلاد البندقية
Veniseوبلاد دالماسيا Daimatie وتقلصت السيادة التي كانت لها على ألمانيا.

– حتى موت الإسكندر، وانحلال امبراطوريته، وتنازع قواده بعد موته، واقتسامهم ممالكها، وإماراتها، ودويلاتها أضحت هي أيضا مضرب الأمثال:

وهناك بعض أمثلة منها:

" Autour de la doctrine de Jouffroy , nous trouverons toutes les écoles groupées , soit pour l'adopter , soit pour la modifier ou la combattre ; ce philosophe eut , à sa manière , les funérailles d'Alexandre ; les différentes écoles en vinrent aux mains autour de son cercueil . (Alfred Netterment : Littérature sous le gouvernement de Juillet.)

ومنها:

L'Asie était conquise ; la terre , suivant la belle expression de l'Ecriture , s'était yue devant Alexandre ; il avait fait son entrée à Babylone " non comme un conquérant , mais comme un Dieu " et le role éclatant et terrible qu'il avait joué touchait à sa fin . Les festins et les debauches de toute espèce avaient succeed aux batailles . Au milieu d'une dernière orgie , le conquérant fut saisi d'une fièvre qui l'emporta en quelques jours ; il ne laissait que des héritiers en bas âge ou incapables . On rapporte qu'a son lit de mort , ses généraux lui demandant à qui il aissait l' empire , il répondit : " Au plus digne " puis il expira , " plein des tristes images de la confusion qui devait suivre sa mort . "

ومنها:

" Alexandre laissait , en mourant des capotaines à qui il avait appris à ne respire que l'ambition et la guerre , Il prévit à quells excès ils se porteraient quand il ne serait plus au monde ; pour les retenir et de peur d'en être dédit , il n'osa nommer ni son successeur ni le tuteur de ses enfants . Il prédit seulement que ses amis célébreraient ses funérailles par des bateilles sanglantes . " Bossuet .

– ها ثلاث كلمات لنابليون : الأولى تصدق عليه، وعلى الإسكندر. والثانية تصدق عليه، ولا تصدق على الإسكندر. والثالثة: فيها توارد خاطرتين، وخاطرتان متباينتان:

١ – قال نابليون وهو في منفاه بجزيرة سانت هيلانه أن حياتي العجيبة الخارقة للعادة صادفتها ظروف عجيبة خارقة للعادة لا يأتي الدهر بمثلها إلا مرة واحدة كل ألف سنة. ثم انتهى فقال: (حقا أن حياتي كانت رواية من الروايات)

" Quel roman pourant que ma vie "

أليست هذه الكلمة تصدق على حياة الإسكندر الأكبر تلك الحياة العجيبة التي صادقتها ظروف عجيبة خارقة للعادة. أو ليست حياة الإسكندر أشبه شيء برواية من الروايات؟

٢ – بعد مادوخ نابليون ممالك أوروبا، ونزل عروش قياصرة، وملوك روسيا، والنمسا، وروسيا، وإيطاليا، وأسبانيا، وبلغ أوج العز، والسلطان سأل محدثيه "ماذا سيقول الناس بعد موتي ياترى؟". فأخذ كل واحد من محدثيه يصف له حزن العالم، وتوجعه من وقوع هذه الكارثة. إلا أن نابليون التفت إلى سامعيه، وقال لهم (لأ ...... لأ .... أوروبا ستتنفس الصعداء وتقول "أف")

" A cette nouvelle , L' Europe Pousserait un soupir de soulagement et dirait " ouf "

وهذه الكلمة أن صدقت على نابليون فإنها لا تصدق على الإسكندر. اللهم يقل دارا (اللهم إذا أرادت مشيئتك أن تسقط أسرتي عن العرش فالإسكندر أولى به من سواه؟). ألم تقل أم دارا لما بلغها نبأ موته (من لنا بعدك يا الإسكندر ودعت له بالرحمة ؟). هذا ما قاله أعداء الإسكندر فيه فما بالك بما قاله محبوه.

٣ – في ١٣ أبريل سنة ١٨٢١ استدعى نابليون – وهو في منفاه – الكونت مونتولون comte de Montholon وأملى عليه وصيته وفيها أوصى بأن يدفن رفاته في باريس (على شاطى نهر السين في وسط الشعب الفرنسي الذي أحبه.)

" Je désire que mes cendres reposent sur les bords de la seine an milieu de ce peuple francais que j'ai tant aimé "

وقد نفذ ملك فرنسا لويس وصية نابليون في خلال سنة ١٨٤٠ ونقل رفاته من جزيرة القديسة هيلانة إلى باريس في سراي الأنفاليد Invalides) بعد ما حصل على رضا الملكة فيكتوريا.

والإسكندر الأكبر بدل أن يوصي بدفن جثمانه في مدينة بيللا Pellaمسقط رأسه، وعاصمة مقدونيا أوصى بدفن جسمانه في مصر بواحة سيوة بجوار أبيه آمون رع الذي أحبه. وقد نفذ بطليموس الوصية بعدما تسلم زمام الحكم في مصر فنقل رفات الإسكندر من بابل إلى مصر. فتأمل!

– كانت آخرة الإسكندر آخرة مشئومة، مشئومة على أسرته، ومشئومة على إمبراطوريته. أما أسرته فزوجته روكسان قتلت. وابنه منها قتل. وبارسين محظيته قتلت. وابنها منه قتل. وأمه أولمبيات قتلت. وأخوه قتل. عصف الدهر بهم فانقرضت أسرة الإسكندر الذي شاد أكبر إمبراطورية في العالم.



الإسكندر بعد موته.

وكما أن أسرته انقرضت، كذلك إمبراطوريته؛ لأنه بعد وفاة الإسكندر تنازع قواده السلطة على جميع البلاد الداخلة في الإمبراطورية، وانتهى بهم الأمر إلى اقتسامها فأختص بطليموس بديار مصر. وأختص لاوميدون بسوريا. وفيلوتاس بكليكيا، وميناندر بليديا. وليناتوس بفريجي. وبيتون بميديا. وكولنوس ببلاد سوس. وأرخون بمملكة بابل، وأومين Eumène بالبلاد المعروفة الآن باسم إيلات سيواس، وسينوب، وقسطموني، وكلهم رجال عباقرة نفخ فيهم الإسكندر من روحه فاشتهروا بالبطولة، والحنكة، والحرية، والسياسة، والإدارية، وصاروا مضرب الأمثال في العبقرية المقدونية.

أما إنتيباتر Antipater فبقى رئيسا لحكومة مقدونيا، واليونان. وأنتيباتر هذا – ويسمونه أيضا أنتيباس Antipas – هو ذلك الأداري الحازم، والسياسي الماهر، والجندي الباسل الذي أولاه الإسكندر ثقة لا حد لها حتى إنه نصبه مسئول عن مملكة مقدونيا مدة غيابه في آسيا، وفي إفريقيا، وقد قال فيه كلمته المشهورة: "نمت ملء جفوني لأن إنيباس كان ساهرا"

J'ai dormi paisiblement ear Antipas veillait "

بعد هذا لنا أن نقول: عفت مقدونيا.

Finis macedonioe

كما قال أحد عظماء بولونيا بعد انهيارها، واقتسامت: عفت بولونيا.

Finis Poionioe

أسماء البلاد، والمدن، والأنهار، والجبال

قديما، وحديثا

من يطالع كتب التاريخ القديم، ولا سيما ما كان منه قبل ميلاد المسيح يجد أسماء بلاد، ومدن، وأنهار، وجبال غريبة لا تمت إلى الأسماء الحالية بصلة مثال ذلك:

- البحر الأسود كان اسمه قديما Pont-Euxin
- وبحر مرمرة كان اسمه قديما Propontide
- والدردنيل كان اسمه القديم Hellespont
- ونهر قزل أرماق كان اسمه قديما Halys
- ونهر سرداريه كان اسمه قديما Jaxarte

وهلم جرا بالنسبة إلى بلاد آسيا الصغرى، ومدنها، وثغورها، وأنهارها، وجبالها، وبالنسبة إلى سائر بلاد آسيا، ومدنها، وثغورها، وأنهارها، وجبالها. وبعض المدن لها أسماء متعددة منوعة بحسب ما يرويها المؤرخون.

خذ مثلا مدينة سمرقند فإن من المؤرخين من يسميها مرقند Maracandeمثل بلين pline ومنهم من يسميها براقند Paracandeمثل سترابون strabon والاسم الغالب هو سمرقند

(وكانت عاصمة مملكة بخاري التترية غزاها جنكيز خان ثم اتخذها تيمورلنك Tamerlan عاصمة لملكه، وفيها الآن قبره).

فلهذا رأيت وضع بيان بأسماء البلاد، والمدن، والأنهار، والجبال قديما، وحديثا يسهل لقراء التاريخ القديم معرفة مواضع البلاد، ومواقع المدن، والأنهار، والجبال التي اشتهرت في التاريخ القديم بحوادث تاريخية ذات بال:

A

نهر أراس أو السكور أو الكر (بتدميى)	Araxe
أولوبورلو	Appolonia
الأخمينيين (وبالفارسية هخامنشي)	Aehéménides
دده جاش	Alexandropolis
أربل (على مقربة من الموص)	Arbèle ou Erbill
آردبيل (بلدة في الأزربيجان العجمي)	Ardébil
أفامية (على نهر العاصي)	Apamée
أدربيجان	Aderbaidjan (anc . Médie)
مقاطعة قندرها	Arachosie
خراسان	Arie
جرجان	Asterabad

طوبراق قلعة سي	Amanus
جبل بيلان طاغ	Amanus (Mont)
أنقرة	Ancyre
إدفو (مصر)	Appolinopolis
نهر في الهند اسمه الآن تشيناب	Acésine
أرتاكزركس (وبالفارسية أرتخشيرشا) وقد ذكر في الشاهنامه باسم أردشير	Artaxersès
تطلق قديما على السويس	Arsinoè
نهر جيحون	Amon-Daria (Oxus)
واردار	Axios (Vardar)
ابن سينا	Avicennes
نيو خوري	Amphipolis-Neokhori

B

بيروت (اسمها القديم)	Béryte
جبيل (تثبات)	By blos
بلخ (مسقط رأس البرامكة)	Bactres
بابل (حلة)	Babylone
أبالة بروسه	Bithynie

تل بسطة (بجوار الزقازيق)	Bubaste
تركستان	Bactriane

C

بحر قزوين، أو بحر الخزر، أو بحر طبرستان	Caspienne (Mer)
طيسفون، أو المدائن (على بعد ٢٥ كيلو مترا من بغداد)	Ctésiphon
الفيوم	Crocodilopolis
النشو البحري (الآن)	Chédia
جبل بابا طاغ	Cadmus (Mont)
ولاية سيواس	Cappadoce
أيدين (آسيا الصغرى)	Carie
نهر قره صو، أو طرسوس جاى	Cydnus
كليكيا	Cilicie
حلب	Cysique Auj Aindsechek. Chalybon corcyre
كابول	
جزيرة كورفو	Corcyre Corfou

D

سايستان	Drangiane
دارا	Darius
نهر دياله (في ولاية بغداد)	Delas

E

أورفا	Edesse
جبال البرز	Elbourz (Mont)
عيلام	Elam
أكباتان (عاصمة الأخميين القديمة) وفيها قبر ابن سينا الحكيم المشهور بنيت على أنقاضها همذان	Ecbatane
حمص	Emèse
بهلوى (ثغر على بحر قزوين)	Enzéli
إياصلوق على بعد ٦٠ كيلو مترا من أزمير	Ephèse Auj . Aya SouloukG
نهر صوصو جرلي يقع غرب صوصور جاي	Granique . Auj . Oust-Valasou
بلشستان	Gédrosie
الكنج (نهر في الهند له ثمانية روافد، ويصب في خليج بنغال)	Gange
وادي غسان (وادي الطميلات)	Gessen

في مصر، وهو الوادي الذي خرج منه بنو إسرائيل تحت قيادة سيدنا موسى الكليم

بي بازار	Gordium . juliopolis
كرجستان	Georgie
جوجاميل (شرق مدينة اربل)	Gaugaméle
أفوام بين نهر الدانوب، والبلقان	Gétes (les)
يأجوج ومأجوج	Gog et Magog

H

هرات (عاصمة تيمورلنك)	Hérat
نهر قزل أرماق (أو النهر الأحمر)	Halys
نهر في الهند (أحد روافد نهر جناب)	Hyphase

واسمه الآن جوَرا أو بياح، وهو النهر الذي أوقف عنده زحف الإسكندر، ومنه أمر بالعودة إلى الوطن. (Ghorra ou Beyah)

دمنهور (اسمها القديم)	Hermoplis
الخليل (بفلسطين)	Hebron
اسم السويس (قديما)	Heroonpolis
بودروم	Halicarnasse Auj . Boudroum
مسقط رأس هيرودوت المؤرخ الشهير الذي لقبوه بأبي التاريخ الدرنيل	Hellespont
نهر ماريتسا	Hèbre
مجموعة إيالتي جرجان، ومازندران (عاصمتها زادراكارتا)	Hycarnie

جيحون نهر في الهند اسمه الآن جيلم (وعلى شاطئ هذا النهر هزم الإسكندر ملك الهند بوروس Porus) ومنه أيضا سار الإسكندر بسفنه إلى أن وصل إلى المحيط Hydaspe

أركلي Héraclée

I

قره إيلان Ajazzo (على مقربة من باياس Payas) Issus

سرداريا Iaxarte (Syr-Daria)

دالماسيا، وما إليها Illyrie

تطلق تارة على شمال المورة (في بلاد اليونان) تارة على البلاد الواقعة شرق آسيا الصغرى Ionie

السند (نهر) Indus

مدينة بجوار (تراوده) Illion

قونيه Iconium

نهر يشيل أرماق Iris

الدانوب (نهر) Ister

J

يافا Jappé (Jaffa)

القدس: أورشليم Jébus (Jérusalem)

Jerabis	قمرقيش

K

Kadjar	عائلة قاجار
Khétas (Hittites)	الحيثيين
Khorsabad	قيونجق (في شمال نينوى، والموصل)
Kében (Byblos)	اسم قديم لمدينة (جبيل)
Kénnissrin	خان نسرين، أوقنسرين (بجوار حلب)
Koush	بلاد إتيوبيا
Kechich Dag	كشيش طاغ
Kadessieh	القادسية (قرب الكوفة)

L

Licopolis	أسيوط
Lycie (Entre Carie et Pamphilie)	
Lydie (Méonie)	ليديا (جزء من ولاية آيدين)
Lutèce	باريس

M

Matura	الله باد

جزيرة مالطة Mélita

منف. منفيس (ميت رهينة الآن) Memphis

خليج ميليه اِندثر، ولم يبق منه إلا بحيرة اسمها كابي دين، أو آليس جاي أو Milet (Golfe) Oufa Bafi

ميليه اندثرت، وقامت على أنفاضها Milet

قرية بلاتشا Palatha

سمرقند Maracande

البلاد الواقعة جنوب بحر مرمرة، وشرق الدردنيل في آسيا الصغرى Mysie

رواد Marathus (Aradus)

تمي الأمديد (مركز السنبلاوين) Mendès

إسكندرونه Myriandros

قيصرية Mazaca

N

نباتا (أبو دوم) Napata

نقراطس Naucratis

الآن الرفه Nicephorium

نيسابور Nishapour

إيزنيك Nicée

أزميد Nicomédie (Ismid. Kodja-Eli)

فوجه إيلي	(Isnikmid)
بختنصر	Nabucodonosor
تينوي (فيو نجق)	Ninive
نهاوند	Nehavend

O

أكسوس (أموداريا)	Oxus (Amou-Daria)
نهر جيحون نهر العاصي (يمر بحمص، وحماه، وأنطاكية)	Oronte
رضاية	Ourmiah (ville ou lac)
جبل كشيك طاغ	Olymep (Mont) Keshik-Dagh

P

حيدراباد مدينة في الهندوستان الإنجليزي في بلاد السيخ على بعد **٢٢٥** كيلو مترا من مدينة (دلهي)	Patala
صاري صافيز أودلي چاي	Pinaros (Sari-Saki)
تخت خمشيد أو اصطخر	Persépolis
البحر الأسود	Pont-Euxin
حاجي ليمان	Phocée (Varia) Appelée par les Tures Hadji-Liman
يانتنا	Pella (Aghioi Apostoloi) Yanitsa
بحر مرمرة	Propontide

مرسى مطروح	Paratonium
بازار جاد	Pasargade
تدمر	Palmyre
الآت (إيالة كارامان)	Pamphylie
قره حصار (آسيا الصغرى)	Perga
هي البلاد الواقعة جنوب بحر الخزر	Parthie
وفيها مدينة الري، والمدائن، وأكباتان	Pamphlagonie (S' étendait sur le pont Euxin entre les fleuves Parthénius et Halys)
الآن لواء سينوب، وقسطموني في آسيا الصغرى، وفيها أنقرة، وقونيه ،وجورديوم، واللاذقية، وكوتاهيه	Phrygie
الفرما (مصر)	Péluse
لوا أك شهر	Pisidie
وتسمى الآن	Philippopolis plovdif
عكا	Ptolémais

R

راقودة	Rakotis
الرقة	Racca
مدينة (الري)	Raghès Ragae
رفح	Raphia

رشت (عاصمة جيلان) Récht

S

(صغد) تركستان بين نهري سيحون ، وجيجون Sogdiane

صاري عاصمة مازندران Sari

مدينة (صيدا) Sidon

بودرون Sagalassus

سارت (كانت عاصمة ملوك ليديا) Sardes

مدينة (سوس) أو (شوشن) Suse

مدينة في تراقيا على البحر الأسود (بلغاريا) Sozopolis (Auj. Sizobolu)

قازانجي محله روهي مسقط رأس أرسطاطاليس. ولما استردتها اليونان من الترك بعد حرب سنة ١٩١٤

١٩١٨ أعادت إليها اسمها الأصلي Stagire (Kazandji Mahalla)

إضه بازار Sangarius

سنه Senneh

تطلق تارة على أقوام في جنوب روسيا، وتارة على قبائل في آسيا الصغرى Seythes (Les)

سرداريا Sirdaria

صا الحجر (غريبة) Sais

قره صو (نهر في مقدونيا) Strymon Strouma

T

مدينة (صور)	Tyr
تبريز (عاصمة هولاكو ملك الدنيا من سنة **١٢٥٦** الى **١٢٦٥**)	Tauris
سكان إيدين (آسيا الصغرى)	Tralles (Aidin)
سكان تراقيا	Triballes (Les)
طرسوس	Tarse
عملة قديمة تساوي **٢٤٠** جنيها من عملة اليوم	Talent
تيمورلنك	Tamerlan
تراقيا	Thrace
صان (شرقية)	Tan
بوزطاغ	Tmolus

X

إكزركسيس (وبالفارسية خشايارشا)	Xersès

Y

نهر سرداريا	Vaxarte

المراجع الإفرنجية

- Les vies des Hommes Illustres par plutarque .
- Histiore Ancienne par Charles Rollin .
- Histiore d'Álexandre le Grand par Jean-Gustave Droysen .
- Alexandre le Grand par Ulrich Wilcken .
- Alexandre le Grand par Georges Radet .
- Notes critiques sur l'Histiore d'Alexandre par Georges Radet .
- Histiore des lagides par Edwyn Bevan .
- Byzance par Auguste Bailly .
- Histiore Romaine par victor Duruy .
- L'Antiquité . Orient-Grèce-Rome par Albert Malet .
- Histiore Ancienne de l'Orient par Tony Severin .
- Précis d'Histiore Ancienne par Le Bas .
- Biographies des Hommes célèbres par George Duruy .

- L’Egypte (Ancienne. Moderne. Contemporaine) Par P. de Hénaut .

- Dictionnaire Philosophique de Voltaire .

- Histoire Ancienne des Peuples de l’Orient Par G. Maspéro .

- Asie Mineure par Charles Texier.

- Conquêtes en Asie par M. De Chavannes .

- Aperçu de l’Histoire d’Egypte par Auguste Mareitte Bey .

- Histoire Ancienne par l’Abbé Drioux .

- Les Conquérants célèbres par M. De Chavannes .

- La Parse par Raymond Furon .

- Histoire de l’Iron Antique par Georges Cameron .

- Routes de Perse par A. Poidebard .

- Guide to Afghanistan par Mohemed-Ali.

- L’Egypte des Pharaons par Jean Capart et et l’ Asie Occidentale ancienne par le Dr. G. Contenau .

- Note sur le voyage d'Alexandre le Grand à l' Oasis de Jupiter Ammon par S. A. le Prince Omar Toussoun .

- Les Essais de Montaigne .

- France (Géographie. Histoire. Littérature) par Bisi et Grimod .

- Revue des Deux-Mondes. 15 Févier 1923 .

- Le Moyen-Age jusqu'à la Guerre de Cent ans par CH, Aimond .

- La Fin du Moyen-Age et le XVIème Siècle par CH. Aimond .

- Le XVIIème et le XVIIIème siècle par CH. Aimond .

- Histoire de France par Lamé Fleury .

- Fleurs Historiques par P. Larousse .

- Alexandrea ad Aegyptum par Breccia .

- Histoire de la Turquie par A. de Lamartine (Tome I)

- " " " " " " " "

- " " " " " " " " (Tome II)

- “ “ “ “ “
“ “ “ (Tome III)

- “ “ “ “ “
“ “ “ (Tome IV)

- Coup d’Oeil sur la Chronologie de la Nation Egyptienne par J. Cattaui Pacha .

- Nouveau Guide de la Grèce par René Puaux .

- Histoire de France et Histoire Contemporaine par Gustave Ducoudray .

- Histoire Générale et Histoire de france par G. Ducoudray .

- Abrégé de l’Histoire des Egyptiens par Antoine-François Pornin .

- Napoléon par Eugène Tarlé .

- Causeries sur Notre Histoire par Gustave Hubault

- Histoire de l’Europe par Victor Duruy .

المراجع العربية

– تاريخ القوقاز.	ليوسف عزت باشا
– جولة في كردستان الجنوبية .	للأستاذ علي سيدو الكوراني
– رضا شاه بلهوي (نهضة إيران الحديثة.	لأحمد محمود الساداني
– العالم كما رأيته "جولة في ربوع آسيا".	للرحالة المصري محمد ثابت
– تاريخ الكرد، وكردستان.	لمحمد أمين بك زكي الوزير العراقي
– مصر "قيصرية الإسكندر المقدوني ".	للأستاذ إسماعيل مظهر
– تاريخ خليج الإسكندرية القديم، وترعة المحمودية.	لسمو الأمير عمر طوسون
– الإسكندرية (المدن المصرية).	للأستاذ فؤاد فرج
– منطقة قنال السويس.	" " "
– تاريخ، وسيرة، ومناقب أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب.	للأستاذ محمد رضا
– أمتاع الأسماع. بما للرسول من الأنباء، والأموال، والحفدة، والمتاع.	للمقريزي

فهرس